جزء
١١

أسرار النفس البشرية

بقلم

سيد تقي سيد حسين الموسوي
حفظه الله

كتاب
أسرار النفس البشريّة
الجزء ١١

للمؤلف
سيّد تقي سيّد حسين الموسوي
حفظه الله

www.taqimusawi.com
٠٠٩٦٨٩٩٤١٩٤٦١
صندوق البريد ٩٣٠
الرمز البريدي ١١٤
سلطنة عُمان

المصادر

- كتاب معاذلة النفس وهو صحيفة من صحف نبيّ الله إدريس عليه السلام.
- كتاب قدوة الفقهاء والعارفين للمؤلف سيد تقي الموسوي حفظه الله.
- كتاب السموات السبع للمؤلف سيد تقي الموسوي حفظه الله.
- كتاب بوذا ونور الملكوت للمؤلف سيد تقي الموسوي حفظه الله.
- كتاب هكذا تكلّم عيسى عليه السلام للمؤلف سيد تقي الموسوي حفظه الله.

المحتويات

المصادر ٤

المحتويات ٥

العرفان بالجميل ٧

المقدّمة ٩

الاستغفار صلة العبد مع ربه ٢٧

عبودية الله في فطرتك ٣٠

أرجو مزاجًا من مزاجك صبغة ٣٧

والروح في جذب إلى مبداها ٤٠

لا يدخل ملكوت الله من لم يولد مرّتين ٤٣

التوبة النصوح ٤٦

إن لم تكن في يقين فلا علم لك ٥٢

فيك انطوى عالم الله ٥٤

يا نفس صلي إلى جوهرك اللطيف ٨١

الإنسان هو الصراط بين جهنم البعد وجنة اللقاء ٨٣

الصراط أشدّ من السيف وأدقّ من الشعرة ٨٦

الدنيا كالحيّة ملمسها ناعم باطنها سمّ زعاف ٨٩

العرفان بالجميل

أنا مدين جدًّا في كتبي الأخيرة، وعلى الخصوص هذا الكتاب (أسرار النفس البشريّة)، وأيضًا كتبي السابقة (هكذا تكلّم الإمام جعفر الصادق عليه السلام) و (ورفعناه مكانًا عليًّا) و(بوذا ونور الملكوت) و(هكذا تكلّم الله على لسان داود) و (هكذا ناجى داود ربه) و (كتاب محاورتي مع الشيخ علي المياحي) و (كتاب المباني الأساسيّة للطريقة الأويسيّة) الذي أُسّس بناءً على أسئلته، ذلك للسيد محمد الشوباصي من سوريا، حيث زوّدني بالمراجع القيّمة وساعدني كثيرًا في إتمام كتبي ومراجعتها وتصميمها ونشرها إلكترونيًّا عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت. فالشكر له موصول لما آثرني به من خدمات قيّمة لا أنساها، وأسأل الله العليّ القدير أن يوفّقه في حياته في هذه الدنيا وفي الآخرة إنّه سميع مجيب الدعاء.

وأيضًا أشكر زهير من دبي في الإمارات العربيّة المتحدة وجهاد من البحرين لوضع موقع إلكتروني لكتبي، ولا أعرف حقيقة كيف أشكرهما على مأثرة الإيثار التي يتحلّان بها رغم مشاغلهما الكثيرة. فقد ساعداني كثيرًا في نشر كتبي وسهّلا للقارئ العربي الوصول إلى هذه الكتب. فالشكر موصول لهما إلى الأبد وأتمنّى لهما من كلّ قلبي التوفيق في الدنيا والآخرة.

المقدّمة

يا نفسُ ! إن الوجود كمثل دوحة عظيمة، وأنت كمثل ثمرة في تلك الدوحة العظيمة، تستمدّين منها حياتك ووجودك حيّة، نابضة قلبك، جارية دماؤك، غضّة عروقك وشراييناك، متنفّسة رئتيك، جارية شهيقك وزفيرك.

فالشجرة أصلك، فكلّما استسلمت لشجرتك سقتك من مائها سقيًا وريًّا رويًّا، وأمدّتك من معين الحياة خلقًا سويًّا.

كنت في نواة بذرة الشجرة، وصوّرت هناك في عالم الذرّ، قبل أن تبزغ شمسك على هذا الوجود. إن بينك وبين الوجود صلة ورباطًا، وإن فيك حنينًا إلى الوجود، وللوجود حنين إليك، فالوجود دائمًا أبدًا يدعو ابنه الضالّ وعبده الآبق أن يرجع إلى أحضانه مكرّمًا معزّزًا.

فقال جلّ من قائل[1] : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾.

يا نفسُ ! يريد منك الوجود أن ترجعي إليه. فاستغفري لذنوبك دائمًا أبدًا دأبًا سرمدًا، وأن لا تصرّي على ما تفعلين، فإنك تعلمين ضعفك، وهو المحيط بك وبضعفك، يغفرك إن أنت استغفرته، ويستجيب لك إن أنت دعوته، ويقبلك إن أنت تبت إليه ورجعت إلى أحضانه.

---

[1] سورة آل عمران ١٣٥-١٣٦.

يا نفسُ ! عبوديّتك لله متجذّرة في فطرتك، حيث أقررت في عالم الذرّ لربّ العالمين بربوبيّته بقولك (بلى) حين سألك: ألست بربكم ؟

يا نفسُ ! إن علم اليقين باب يفتحه الله على عبده بعد التوبة النصوح، ونور يشرقه الله في قلب التائب السالك في سيره وسلوكه إلى الله سبحانه وتعالى. يقول إمامنا ومقتدانا الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: " إلهي أَنْتَ الَّذي أَشْرَقْتَ الأَنْوارَ في قُلُوبِ أَوْلِيـآئِكَ حَتّى عَـرَفُوكَ وَوَحَّدوكَ ".

فالسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو ما هي جذور حبّنا وعبوديتنا لله في فطرتنا ؟ وكيف أن طلب الله يلحّ علينا في داخلنا عند التوبة النصوح ؟ وكيف أن شيئًا ما في وجودنا، بعد التوبة النصوح، يلومنا على الدوام على الآثام والمعاصي التي ارتكبناها ونرتكبها، والتي تبعدنا عن الله، ثم ينصحنا ذلك الشيء بأن لا نعود إلى الآثام مرة أخرى ؟

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران الآية ١٣٥- ١٣٦: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّـهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّـهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَـٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾.

ولماذا تحدث كل هذه الأشياء في وجودنا، رغم أننا مرتاحون ظاهريًّا في الدنيا، لحصولنا على المطعم والمشرب والنوم والجنس والمسكن والملبس، أي الحصول على إرضاء حوائجنا الإنسانية الأساسية الستة ؟ علمًا بأن حوائجنا البهيمية الأساسية هي خمسة، وهي المطعم والمشرب والنوم والجنس والمسكن.

يا نفسُ ! يجب الوغول في أعماق نفسك للتعرّف على ما هو مكتوب في فطرتك منذ تكوينك في رحم أمك. سترين حوائجك الستة الأساسية، لأنك تسعين ليل نهار

لإرضائها. ولكن هل ترين أشياء أخرى في وجودك تحتاجينها غير هذه الحوائج الأساسية الستة ؟ هل ترين أشياء وحوائج أخرى تؤرّقك رغم حصولك على حوائجك الأساسية ؟

يا نفسُ ! إنه الله، وهو ربك الذي خلقك ويخلقك الآن، ويخلق الآن في وجودك ملايين الملايين من الخلايا الحيّة، التي تحلّ محلّ خلاياك التي تموت باستمرار.

نعم إنه الله، وهو ربك الذي يربّيك في كل اللحظات، لا يتوقّف عن تربيتك طرفة عين، ويدبّر كل أمور حياتك، من تناوب موت الخلايا وخلقها من جديد، ومن تناوب النوم واليقظة، ومن تناوب الليل والنهار، ومن تناوب النور والظلمة، ومن تناوب الصحّة والمرض، ومن تناوب المطعم والمشرب ودفعهما، ومن نبض القلب المستمرّ ، والنفس الذي لا يتوقف، ودورة الدم في شرايينك وعروقك، وعمل ووظائف كل جوارحك، وغيرها وغيرها، مما لا تعدّ ولا تحصى، في نظام بديع، لا يستطيع العباقرة والنوابغ فعل جزء صغير جدًّا جدًّا من هذه المعجزات البديعة.

يا نفسُ ! سوف تعرفينه، لا عن طريق غيرك، بل في نفسك، لأنه مألوف لديك. ولكنك أبعدته عنك بفعل الطبع والعادة التي رانت على قلبك، ووضعت عليه الأغلال والسلاسل، حتى باتت القلوب لا تفقه، والعيون لا تبصر، والآذان لا تسمع. أو ما سمعت قول الله تعالى في سورة الأعراف الآية ١٧٩: ﴿ وَلَقَد ذَرَأنا لِجَهَنَّمَ كَثيرًا مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ لَهُم قُلوبٌ لا يَفقَهونَ بِها وَلَهُم أَعيُنٌ لا يُبصِرونَ بِها وَلَهُم آذانٌ لا يَسمَعونَ بِها أُولـئِكَ كَالأَنعامِ بَل هُم أَضَلُّ أُولـئِكَ هُمُ الغافِلونَ ﴾

يا نفسُ ! اكسري العادة، فإنّ كسر العادة عبادة، كما يقوله مولاي وشيخي صادق العنقا قدّس سرّه. فوالله الذي لا إله غيره، لو انزاحت عنك حجب العادة، وظنون التعوّد، وقسوة القلب، وتصلّب الحواس، لكنت وجهًا لوجه أمام روعة الخالق وآياته ومعجزاته، في عجب وحيرة دائبتين دائمتين، لا يبقى لك وقت للنظر إلى غيرها !!! أو ما يقول الله تعالى

في حقّ النبي المصطفى (صلوات الله عليه وآله): ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾[1] ! أو ما يقول الله تعالى في حقّ أهل الكهف[2] : ﴿أَم حَسِبتَ أَنَّ أَصحابَ الكَهفِ وَالرَّقيمِ كانوا مِن آياتِنا عَجَبًا﴾ ! فَهُم والله ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بالتبرّء من العادات، وعدم التعوّد على الآيات، كأنهم يرون كل شيء وكأنه يحدث لأول مرة في حياتهم !!! أما حصل لك أن رأيت شيئًا لأول مرة في حياتك ! كيف كان عجَبك وحيرتك !!! ولكنك مع الأسف تتعوّدين عليها، فيذهب بريق العجَب عنك. أما في العرفاء وأولياء الله الصالحين فإن بريق العجَب معهم في أي زمان وفي أي مكان.

يا نفسُ ! يقول الله تعالى في سورة الأعراف الآية ١٧٢: ﴿وَإِذ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَني آدَمَ مِن ظُهورِهِم ذُرِّيَّتَهُم وَأَشهَدَهُم عَلى أَنفُسِهِم أَلَستُ بِرَبِّكُم قالوا بَلى شَهِدنا أَن تَقولوا يَومَ القِيامَةِ إِنّا كُنّا عَن هـذا غافِلينَ﴾. وفي سورة يس الآيات ٦٠-٦١: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

فما أن ولدت في هذه الدنيا، حتى احتوتك الأسرة والمجتمع وأصدقاء السوء، بعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم، واحتواك الطبع بأغلاله وسلاسله، كما تتسلّط العنكبوت على فريستها في شباكها، وأبعدك الطبع عن فطرتك التي فيها هذه العهود والمواثيق، فأصبحت غريبة عليك وغير مألوفة، كأني أتحدّث عن الغرباء لا عن فطرتك أنت !!!

يا نفسُ ! ألم تقولي لربك بلى شهدنا ؟ ألم يعهد إليك ربك أن لا تعبدي الشيطان؟ ألم يعهد إليك ربك أن تعبديه وحده ؟ ألم يقل لك ربك إن الشيطان لكم عدوّ مبين ؟ ألم يقل لك ربك ما هو الصراط المستقيم ؟

---

[1] سورة الصافات ١٢.

[2] سورة الكهف ٩.

يا نفسُ ! إن كل ذلك مكتوب في فطرتك، فاعرفي نفسك يا أيتها المسكينة ! أتنتظرين أن يقول لك غيرك ما هي الأسرار التي نقشت وحفرت في وجودك ؟

يا نفسُ ! إنها في وجودك أنت فاقرئيها. ﴿ اقرَأ كِتابَكَ كَفى بِنَفسِكَ اليَومَ عَلَيكَ حَسيبًا ﴾[1]، كما يقوله الله تعالى في سورة الإسراء. فانهضي من سباتك، واستعيدي وعي الأزلية والسرمدية، الذي كتبت وحفرت فيه المواثيق والعهود الربانية.

يا نفسُ ! أتنتظرين من الفلسفات أن تقول لك شيئًا من أسرارك ؟ فإذا أصغيت إليها هلكت، لأنها توغلك في الظلمات. أم تنتظرين من المحاضرات أن تنوّر قلبك ؟ ألا إن نور العلم يقذفه الله في قلب من يشاء - كما يقول المصطفى (صلوات الله عليه وآله) ! ألا إنَّ اللهَ يَهْدِي لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ- كما جاء في سورة النور الآية ٣٥. فانشدي النور يا عزيزتي لا المعلومات والمحفوظات المنقولة والمعقولة. فكما يقول المثل: " ثَكَلَتْكَ أُمّكَ أَيّ جزْدٍ تَرْقَعُ ".

يا نفسُ ! إنك تطلبين ما لا نفع فيه، وتنشدين الترّهات لقتل أوقات الفراغ. أليس الأحسن والأجدى لك أن تنشدي النور، وتطلبيه من الله نور السموات والأرض.

يا نفسُ ! تعرّضي للتربية المباركة، واسقطي الإضافات عن فطرتك، وانزعي عنك جلدة الطبع السميكة، لعلك تجدين إلى وسائط فيض ربك ورحمته سبيلًا !!!

يا نفسُ ! أما تسمعين السيد حسين العالم قدّس سرّه ينادي بأعلى صوته ؟ : " أيها الناس إنّ اليقين هو الذي يصل بالإنسان إلى مقام الشهود والإيمان الكامل، وإن كان ذلك الإنسان عاصيًا لله في بداية أمره، ولكن إذا لازمه اليقين، صعد إلى أوج سعادته. فانظري إلى أحوال بشر بن الحارث المشهور ببشر الحافي، كان من أهل المعصية في بداية أمره، ولكنه كان متيقنًا بحقانية الإمام، وكان معتقدًا تمام الاعتقاد بالأصول، ومن ضمنها

[1] سورة الإسراء ١٤.

أصل الإمامة، فلذلك أثّر عليه كلام الإمام أثرًا بليغًا، حيث غيّر مسيرة حياته إلى طريق لا رجعة له منه ". ويقول في مكان آخر: " فلقد وصل بشر إلى مرتبة الإيمان الكشفي، ووصل إلى مقام من القرب والزلفى، بحيث شمل المغناطيس الإلهي روحه وبدنه وجميع جوارحه، المغناطيس الذي كان يجذب العاصين جذبًا إلى الله تعالى ".

يا نفسُ ! تعرّضي للتربية المباركة والنفحات الربانية، واسقطي عنك ما كسبته طوال حياتك، من الإضافات على فطرتك، من المعلومات الدنيوية (وأنا أتسامى عن أن أسمّيها علومًا)، التي ربّت فيك العجْب والكبرياء، وغذّت فيك الغرور، وسلبت منك التواضع، حتى ظننت أنك أعلم الناس، في حين أنك في أسفل السافلين من جهالتك، حتى أصبحت كمثل ابنة الجبل مهما يقل تقل، تكرّر المحفوظات والمنقولات والمعلومات التي تصدر من هذا أو ذاك من الأدعياء ! أو ما قال لك الله عز وجل في سورة الإسراء الآية ٣٦: ﴿ وَلا تَقفُ ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ إِنَّ السَّمعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤادَ كُلُّ أُولـئِكَ كانَ عَنهُ مَسئولًا ﴾.

يا نفسُ ! ألا إن نور العلم هو فيك، فاكتشفيه في فطرتك، واسعي إلى التزكية وإلى جهاد النفس، الذي هو الجهاد الأكبر. فإن لم تفعلي كان سمعك وبصرك وفؤادك كل أولئك عنه مسئولًا. وإن لم تفعلي فاستعدّي لنداء التوقيف الذي يدوّي يوم القيامة[1] : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ ". واستمعي إلى ما يقوله السيد حسين العالم قدّس سرّه، شارحًا أسباب تسميته بالجهاد الأكبر:-

" فقتل الكفار بالسيوف وتضحية النفس في الحروب جهاد أصغر، ومحاربة النفس ومقارعة الشيطان جهاد أكبر. والسبب في ذلك أن في جهاد النفس عدوّك في داخلك،

[1] سورة الصافات ٢٤.

ولهذا العدوّ مكائد كثيرة، وهذه المكائد خفيّة ودقيقة جدًّا تتناسب مع مشرب كلّ واحد منكم. إضافة إلى ذلك، إن القوى والجوارح التي يتمتّع بها العدوّ في داخل النفس الإنسانية، هي نفس القوى والجوارح التي يجب على العقل استعمالها في دفع ذلك العدوّ اللدود. وعلاوة على ذلك، إن في الجهاد الخارجي قتل العدوّ وهلاكه مفيد وليس مضرًّا، في حين أن في الجهاد الداخلي هلاك العدوّ غير جائز، لأن العدو هنا عبارة عن النفس، وإذا هلكت النفس هلك الإنسان. ولكن يجب جهاد النفس بأسلوب يجعلها مطيعة للأحكام الإلهية. فلذلك لم يقل الرسول الأكرم (صلوات الله عليه وآله) بأنه قتل شيطانه، بل قال: " أسلم شيطاني على يدي وأعانني الله عليه ".

يا نفسُ ! إن الله هو المبدأ وهو الأصل وأنت الفرع، وإن كل أسباب حياتك في هذا الأصل وفي هذا المبدأ. فلا تنسي الأصل والمبدأ، وجاهري بحنينك وأوبتك إلى المبدأ بكل وجودك، فإن في ذلك حياة لك، ونعم الحياة ! ونعم الحيوان ! فلا تبتعدي عن المبدأ، والتصقي به التصاق الفصيل بأمّه، فإن الابتعاد عنه سبحانه وتعالى موت لك، وفساد وتعفّن، كما للثمرة موت وفساد، إذا هي قطعت وفصلت عن الشجرة.

يا نفسُ ! أهمّ عرى التواصل مع مبدئك هو ذكر المبدأ باللسان والقلب والحال والمزاج، فإن كان ذكرك باللسان فهو الذكر الجليّ، وإن كان بالقلب فهو الذكر الخفيّ، وإن كان بالحال فهو الذكر الأخفى، وإن كان بالمزاج فهو الذكر المتجلّي.

يا نفسُ ! فأنت حينئذ تجلّي من المبدأ بعينه يمشي على الأرض ! أرجو مزاجًا من مزاجكَ صبغة، ولقد تجلّى في مزاجي وصبغتي.

فاحذري يا نفسُ ! فإن ورودك إلى الطبيعة بكل ما فيها من أضداد له تبعات، ولكن جهادك في أعماق نفسك على معرفة أسرار نفسك، وأسرار الطبيعة، وأسرار

الأضداد، التي هي في الطبيعة، يدلّك على أسرار التواصل مع المبدأ، ويقوّي عرى التواصل والالتحام بالمبدأ.

يا نفسُ ! إن في ذلك لك حياة جديدة وولادة جديدة، هي أهمّ بكثير من الولادة الأولى. فولادتك الأولى هي الولادة في الطبيعة، من دون علمك، ومن دون شهودك، فإنه جلّت قدرته لم يشهدك خلقك، خلقًا من بعد خلق، في ظلمات ثلاث، في بطن أمّك، ثم طفلًا، حتى إذا بلغت مرحلة الوعي عرفت قصّة ولادتك في الطبيعة.

يقول الله تعالى في سورة الزمر ٦: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّـهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾.

ويقول سبحانه وتعالى في سورة الكهف ٥١: ﴿ ما أَشهَدتُهُم خَلقَ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَلا خَلقَ أَنفُسِهِم وَما كُنتُ مُتَّخِذَ المُضِلّينَ عَضُدًا ﴾.

يا نفسُ ! كما أن ولادتك الأولى كانت الولادة في الطبيعة، كذلك فإن ولادتك الثانية هي الولادة عن الطبيعة، وفي ملكوت الله، حيث تخطين خطوات لمعرفة النفس وأسرارها، فتجدين معالم تجانسك مع المبدأ معلمًا معلمًا.

إن هذه الولادة يا نفسُ ! هي في قمّة نضج المعرفة والشهود، حيث تشاهدين المبدأ في الآفاق والأنفس، وتجرّبين أحلى أيام حياتك في معرفة المبدأ ومعايشته.

يا نفسُ ! في جوار المبدأ تستأنسين به وتناجينه وتتحدّثين إليه، ويستأنس بك ويتحدّث إليك، بل يضمّك إلى صدره ويحتضنك ويدلّلك، لأن المبدأ يفرح برجوع النعجة الضائعة إلى قطيعها، ويحبّها حبًّا جمًّا ويدلّلها، ويعرضها على ملائكته، متباهيًا بالنعجة الضائعة التي رجعت إلى قطيعها، وتخلّصت من التيه في أيام الضياع، ومن الخطرات الداهمة من قبل الحيوانات المفترسة.

يا نفسُ ! توبي إلى بارئك توبة نصوحًا، كما ذكرها عيسى عليه السلام:

سأل برنابا: أيها المعلم إذا سأل الناس الحواريين عن الطريقة التي بها يندمون ويتوبون، فماذا يكون جوابهم ؟

أجاب عيسى عليه السلام: إذا أضاع الإنسان محفظته، هل يدير عينه فقط للنظر إليها، أو يمدّ يده فقط لالتقاطها، أو يحرّك لسانه فقط للسؤال عنها ؟ بالتأكيد لا ! بل إنه يدير كل بدنه، ويستعمل كل طاقة في وجوده، كي يجد المحفظة. هل هذا صحيح ؟

أجاب برنابا: صحيح جدًّا.

فقال عيسى عليه السلام: التوبة هي قلب نمط الحياة الشريرة رأسًا على عقب. لأن كل حاسة يجب أن تقلب رأسًا على عقب، من حالتها الآثمة إلى حالة الصلاح والسداد، بحيث يجب أن يتحوّل الفرح والسرور إلى حزن وحداد، والضحك إلى نوح ونحيب وبكاء، والمرح والطرب والعربدة إلى صيام، والنوم إلى قيام الليل وصلاة وسهاد، وأوقات الفراغ إلى نشاط، والشهوة والشبق إلى ورع وعفة وطهارة وسداد، واللغو إلى صمت ومناجاة الله وصلاة، والطمع والبخل وحبّ المال إلى إحسان وزكاة.

فأجاب برنابا: وإذا سألوهم كيف نحزن، وكيف نبكي وننوح، وكيف نصوم، وبأي نشاط نقوم، وكيف نبقى طاهرين عفيفين ورعين، وكيف نصلّي وندعو ونناجي، وكيف نحسن ونتصدّق ونزكّي، فماذا يكون جوابهم ؟ وكيف يتوبون بالضبط، إذا كانوا لا يعرفون طريقة الندم ؟

أجاب عيسى عليه السلام: خيرًا سألت يا برنابا. وأنا أريد أن أجيبك بالكامل، إذا كان رضا ربي في ذلك. فاليوم سأتحدّث عن التوبة والندامة على وجه العموم.

فاعلموا أن التوبة يجب أن تكون قبل كل شيء خالصًا مخلصًا صرفًا محضًا لحبّ الله، وإلا فالندم سيكون عملًا عبثًا. وأضرب لذلك مثلًا:

أيّ عمارة إذا أزيل أساسها، تحوّلت إلى حطام وأنقاض. هل هذا صحيح ؟

أجاب الحواريون: بلى صحيح.

فقال عيسى عليه السلام: أساس خلاصنا هو الله، والذي بدونه لا يكون خلاصًا ولا فلاحًا. فلو اقترف الإنسان إثمًا ومعصية، فقد أضاع أساس نجاته. فالواجب عليه أن يبدأ بالأساس.

أخبروني إذا أخطأ عبيدكم بحقكم، وعلمتم بأنهم لم يأسفوا ولم يحزنوا على إسائتهم إليكم، بيد أنهم أسفوا وحزنوا على خسرانهم مكافأتكم، هل ستعفون عنهم ؟ بالتأكيد لا ! لذا أخبركم بأن الله لن يعفو عن أولئك الذين ندموا لخسرانهم الجنة.

انظروا إلى الشيطان الذي هو عدوّ كل عمل صالح، فقد ندم ندمًا شديدًا على خسارته الجنة ونيله نار جهنم. رغم ذلك فإنه لن ينال رحمة الله بسبب هذه الندامة. هل تعلمون لماذا ؟ لأنه لا يحبّ الله، بل بالعكس إنه يبغض خالقه.

الحق أقول لكم: إن كل حيوان، بحسب غريزته، إذا خسر ذلك الشيء الذي يرغب فيه، فإنه يحزن على ما ضاع منه. لذلك فإن الآثم الذي يتوب بصدق، يجب أن تكون عنده رغبة ملحّة، لمعاقبة كل توجّه واهتمام في ذاته ضد خالقه.

لذلك فالذي يصلّي ويدعو ويناجي ربه، كيف يتجاسر أمام الله بإظهاره الشوق والحنين إلى الجنة، وطلبه المكافأة من الله، وتحريره من النار ! يجب عليه بدل ذلك أن يخرّ ساجدًا لله، في وجل وخزي ونجل، يدعو ويناجي ربه قائلًا:

يا ربي انظر إلى هذا المجرم أمامك بعطف ورفق ورأفة، الذي أساء إليك بدون سبب بدل أن يخدمك. ألتمس منك أن تعاقبني لمعصيتي، بيدك لا بيد عدوك الشيطان، كي لا يشمت بي الكافر، ويفرح ويبتهج لعقابي الملحد. يا ربي اقتصّ مني، وعاقبني كما يسرّك

ويرضيك، لأن عذابك مصحوب برحمتك، لا كعذاب الشيطان الشرير المصحوب بالقسوة والجفاء.

وبهذه الطريقة من التوبة والندامة، سيجد الآثم رحمة الله ورفقه وعطفه ورأفته، أكثر بكثير من ذاك الذي يطلب المكافأة، ولا يسأل الله من فضله.

حقًّا إن ضحك الآثم انتهاك مقيت لحرمات الله، بحيث أن هذا العالم المقيت قد سمّاه بحق أبونا داود واديًا من الدموع.

كان هناك ملك قد تبنّى أحد عبيده، وجعله سيدًا على كل ممتلكاته. واتفق أن وشى به رجل شرير، بحيث تعرّض هذا المسكين لسخط الملك وحنقه. فعانى بؤسًا وفاقةً وشقاءً وتعاساتً كثيرة، لا في ثروته وتدنّي معيشته فحسب، بل في أن الملك قد احتقره واستخفّ به، وجرّده من كل ما كسب بعرق جبينه. هل يمكن لمثل هذا الشخص أن يضحك !

أجاب الحواريون: كلا بالتأكيد ! لأن الملك إذا سمع بأنه يضحك قتله بسبب ضحكه وسخريته من سخط الملك. بل يحتمل أن هذا المسكين سوف يبكي وينتحب ليل نهار.

فبكى عيسى عليه السلام وقال: اللعنة على أهل هذه الدنيا، لأنهم حقًّا يساقون إلى عذاب أبدي ! يا أيها الإنسان الشقيّ ما غرّك بربك الكريم ! فقد انتخبك وعاملك كابن مدلّل ووهبك الجنة ! فتعرّضت أيها الشقي، بوسوسة الشيطان، لسخط الله وحنقه، وطردت من الجنة، وأدنت بالعيش في عالم دنس نجس وسخ قذر، تكدح فيه لأي شيء، وتخسر فيه أي عمل صالح، بارتكابك المستمرّ للمعاصي والآثام.

وأهل الدنيا يضحكون بهذه البساطة ! والأسوء من ذلك أن المجرم والشرير الأكبر يضحك أكثر من الباقين. وكما قلتم فإن الله سبحانه وتعالى سوف يحكم على من يضحك على معاصيه، ولا يبكي عليها، بالخسران والعذاب الأبدي.

إن بكاء الآثم ينبغي أن يكون كبكاء الأب الحنون، الذي ينتحب على ولده الذي يحتضر. وما أكبر جنونك أيها الإنسان ! تبكي على الجسد الذي يفارقه الروح، ولا تبكي على الروح الذي تفارقه رحمة الله بسبب الذنوب !

أخبروني إذا كان البحّار قد كسرت سفينته وحطّمت وأغرقت، بسبب العواصف، وكان بإمكانه أن يسترجع كل ما خسره ببكائه ونحيبه، ماذا كان سيفعل ؟ من دون ريب ولا شك، لكان يبكي بمرارة.

الحق أقول لكم: إن الرجل إذا بكى على أي شيء دنيوي فهو آثم، ما عدا ذاك الذي يبكي على ذنوبه ومعاصيه من خشية الله. لأن كل المصائب والبلايا، التي يبتلى بها الإنسان، تأتي من الله لخلاصه وإنقاذه، ولذلك ينبغي له أن يبتهج لها ويتهلل. بيد أن الذنوب تأتي من الشيطان لهلاك الإنسان. فكيف لا يحزن هذا الإنسان من الذنوب ! حقًّا ستلاحظون كيف أنّ الإنسان ينشد الخسارة لا الربح.

فقال بارتولوميو: يا سيدي ماذا يفعل ذاك الرجل الذي لا يستطيع البكاء، لأن قلبه لا يستسيغ البكاء ؟

أجاب عيسى عليه السلام: يا بارتولوميو ليس كل من يذرف الدموع يبكي. بحق الحي الذي لا يموت ، هناك أشخاص لم تذرف من عيونهم دمعة، بيد أنهم بكوا بمقدار يزيد عن ألف شخص أكثر من أولئك الذين يذرفون الدموع.

بكاء الآثم هو استنفاد العاطفة البشرية بشدة الحزن. فكما أن ضوء الشمس يحفظ الشيء من التعفّن، إذا وضع ذلك الشيء في مكان أعلى وأكثر ارتفاعًا، كذلك استنفاد عاطفة الحزن يحفظ الروح من الذنوب.

لو أن الله منّ على أهل التوبة النصوح دموعًا، لكانوا اشتاقوا إلى ذرف الدموع، بمقدار يفوق مقدار مياه البحر. كذلك هذا الشوق يستنفد الدمعة الصغيرة، التي تذرف

باشتياق ورغبة، كما يستهلك الأتون المتوهّج قطرة من الماء. بيد أن أولئك الذين تتفجّر دموعهم بسهولة، مثلهم كمثل الحصان، كلما خفّ حمله زادت سرعته.

هناك حقًّا ناس ذوو عاطفة باطنية ودموع ظاهرية معًا، وهكذا كان إرميا النبي. إن الله ينظر إلى الحزن في بكاء عباده، أكثر مما ينظر إلى الدموع.

فقال جون: أيها المعلم كيف أن الناس يخسرون في البكاء على أشياء أخرى غير الذنوب ؟

أجاب عيسى عليه السلام: إذا أودعك هيرود عباءة كأمانة، ثم استردّها، أيكون ذلك مبرّرًا لك للبكاء ؟

قال جون: كلا !

فقال عيسى عليه السلام: أيها الأحمق ! فالأحرى أن لا يكون هناك مبرّر للبكاء على أشياء يودعك الله أمانة، ثم يستردّها منك، لأن كل شيء يأتي من يد الله. أليس لله حق في أن يتصرف بأشياء أودعها أمانة، متى ما شاء ذلك ؟ والذي تمتلكه أنت أيها الأحمق هو ذنوبك وحدها فقط، التي ينبغي لك البكاء عليها لا شيء آخر.

يا نفسُ ! تيقّني مما أقول، لأن اليقين هو العلم، وأن عين اليقين هو الشهود، وأن حق اليقين هو التجلّي. وإن لم تكوني في يقين فلا علم لك ولا معرفة، بل أنت واحدة من الببغاوات تردّدين كلام القاطنين في منطقة الضياع، وما أكثرهم !

يا نفسُ ! لا بد من التهذّب سريعًا من أوساخ الطبيعة وأوزارها المبطّئة بك عن سرعة الرجوع إلى عالمك وأصلك. يا نفسُ ! ألا تحبّين عالمك ؟ ألا تحبّين عالم الفردوس حيث عشت مرتاحة البال من كل شيء ؟ ألا تحبّين جنّة الفردوس التي ترهق لها الأرواح الطاهرة حيث السعادة المطلقة الخالدة ؟

يا نفسُ ! المطلوب منك أن ترجعي إلى النفس المطمئنة الخالدة، في هذه الأيام المعدودة من عمرك في هذه الدنيا. يا نفسُ ! من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى، فافتحي عيونك سريعًا على المعرفة، وأول المعرفة معرفة النفس، وهي المعرفة النافعة لك في الدنيا والآخرة، حيث تسلك بك هذه المعرفة إلى طريق التزكية والتطهّر والتهذّب من أوساخ الدنيا وأوزارها وتبعاتها.

يا نفسُ ! من عرف نفسه فقد عرف ربه، ولا يمكن دخول الدين إلا من باب معرفة الله عز وجل، فأول الدين معرفته كما قال أمير المؤمنين وسيّد الوصيين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

يا نفسُ ! أسرعي في تزكية النفس من الذنوب والآثام حتى تصلي إلى جوهرك اللطيف الشفّاف، وإلى تجانسك بعالم الله. لا بد أن تصلي إلى جوار الله عز وجل في هذه الدنيا كي تنعمي بجوار الله في الآخرة وفي دار الخلود.

يا نفسُ ! أنت الصراط بين جهنم البعد وجنة اللقاء. تبدئين طريقك على هذا الصراط وأنت بعيدة كل البعد عن الله عز وجل، ثم بعد السير والسلوك، وبعد جهد جهيد أو بعد الجهاد الأكبر مع النفس بعد معرفتها، تصلين إلى جنة اللقاء أو جوار الله سبحانه وتعالى. تنظرين إلى هذا الجانب من الصراط وترين عالم المادة والجوهر الكثيف، وتنظرين إلى الجانب الآخر وترين عالم الله والجوهر اللطيف.

يا نفسُ ! نعم هذا ما يفعله العشق والوله بالإنسان المحبّ العاشق ! وأنت التي لم تعرفي العشق الحقيقي، ولم تعلمي شيئًا عن معبودك، وتعبدين غيره في الليالي والأيام، وعلى الرغم من ذلك تريدين معرفته معرفة تامة !

هيهات هيهات !!! ففي الطريق إلى بيت ليلى تكمن الأخطار، وشرط الخطوة الأولى في هذا الطريق المحفوف بالأشواك أن تكوني مجنونة ! فالإنسان يتدرّج في مراتب

الإنسانية، ويصعد ويعرج إلى أن يصل إلى المقام، الذي يكون فيه الإنسان ذلك الفرد الأكمل الإنساني الذي يقال في حقه: " لولاك لما خلقت الأفلاك "، ويقول جبرائيل عليه السلام مقرًّا معترفًا بعجزه أمام عظمته ومقامه المنيع: " لو دنوت أنملة لاحترقت ".

يا نفسُ ! افرضي الإنسان على الصراط، فمن بقي في أية مرتبة على الصراط، فهو مبتلى بجهنم البعد عن الله، إلا إذا تجاوز مراتب الإنسانية وصراط عالم الوجود، ومن ثم يدخل جنة اللقاء، وذلك هو الفوز العظيم !!!

والسبب في أن الإنسان هو الصراط، هو سير الإنسان في مراتب الوجود الإمكاني، ففي مرحلة ما يكون الإنسان قوة صرفة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾، وبعدها يتحوّل إلى الصورة العنصرية بالقدرة الإلهية الكاملة.

ثم يستمرّ في سيره في أطوار الوجود، فهو أحيانًا حشيش الأرض وأحيانًا النبات، وأحيانًا فاكهة الأشجار يأكلها الإنسان والحيوان، ثم يذبح الإنسان الحيوان ويأكل من لحمه وغير ذلك، ثم يجعل الله بحكمته البالغة محبّة بين المرأة وزوجها، ثم تجمعهما الشهوة على مائدة الجماع.

ومن تأثير الأطعمة والأشربة المختلفة، التي يتناولها الإنسان، تتولّد النطفة، التي يسّر الله لها قوة الدفع من الآلة الرجولية، وقوة الجذب في رحم المرأة، حتى تجذب إلى نفسها نطفة الرجل، كي تتمازج مع مني المرأة، ثم يستقرّ اللقاح في رحم المرأة، ويلتصق بالرحم التصاق الخميرة في التنور، ثم تبدأ عملية خلق الجنين، وتمنع يد القدرة الإلهية اللقاح الملتصق على جدار الرحم من الانهيار في دم الحيض، وتهب النطفة الفاقدة للشعور قوة تجذب بها الدم بواسطة العروق، حتى تظهر عليها النقط الدموية، وتتحوّل إلى علقة، ثم تزداد حمرتها، وتظهر أكثر فأكثر، حتى تصبح شبيهة بالمضغة.

يا نفسُ ! الصراط أشدّ من السيف وأدقّ من الشعرة ، فاجتازي الصراط بعد أن تتطهّري من كل الشوائب المشوّهة في عالمك الخلقي، فإن أي ثقل من الهوى أو حب الدنيا يعطيك الثقل على الصراط، ويقطعك كالسيف، وأن أي وزن ووزر من أوزار الذنوب والآثام لا يثبت على الشعرة.

يا نفسُ ! أنت الصراط بين جهنم البعد عن الله وجنّة القرب من الله زلفى، واجتيازك عليه يعتمد على خفّة جوهرك اللطيف وغياب جوهرك الكثيف. فخففوا عنكم الأوزار، واعملوا على صقل الجوهر حتى يرجع لطيفًا خفيفًا خفّة الهواء، وتختفي أوزار (أنا) الناسوتي كاختفاء الصاروخ الثقيل في أعماق السماء في لمحة بصر.

يا نفسُ ! إن الفلاح يجبّ الذنوب الثقال والأوزار والأغلال. وإذا نلت الفلاح فكأنك قد ولدت من جديد مبرّأة من كل الذنوب والآثام. فكما أن الصاروخ بثقله العظيم، يختفي في لمحة بصر في بطن السماء، بسبب سرعة انطلاقه، كذلك أوزار الذنوب تختفي في لمحة بصر من صفحة وجودك، بسبب سرعة رجوعك إلى أصلك.

يا نفسُ ! تهذّبي من أوساخ الطبيعة وأوزارها المبطّئة، بسرعة الرجوع إلى أصلك وعالمك العلويّ القدسي.

يا نفسُ ! إن سرعة رجوعك إلى أصلك وعالمك العلويّ لا يتأتّى إلا بالعشق الإلهي. ولا يبعدك عن العشق الإلهي إلا حبّ الدنيا، فإن حبّ الدنيا رأس كل خطيئة. فإذا قطع الرأس اختفت الخطايا وذاب جليد الذنوب العظام.

يا نفسُ ! أسرعي إلى عشق الله قبل أن يسرع إليك المنايا، فإن الموت هو نهاية الفرص الذهبية في هذه الدنيا القصيرة عمرًا والسريعة زوالًا. فلا تظني أن عمرك يدوم، وانظري إلى أعمار غيرك واعتبري بنهايتها أمام أعينك، واسألي نفسك هل يدوم العمر على هذه الأرض ؟

يا نفسُ ! خفّفي عنك الأوزار، واعملي على صقل الجوهر حتى يرجع لطيفًا خفيفًا خفّة الهواء، وتختفي أوزار (أنا) الناسوتي كاختفاء الصاروخ الثقيل في أعماق السماء في لمحة بصر.

يا نفسُ ! هذا الـ (أنا) الناسوتي أو الدنيا ما هو إلا سراب، فلا تغرّنّك أوهام السراب. وانظري ماذا يقول الناسك من كتابي (بوذا ونور الملكوت).

المؤلف

سيّد تقي سيّد حسين الموسوي

في ليلة الإسراء والمعراج، ليلة ٢٧ رجب ١٤٣٧ هجرية

الموافقة لـ ٤ / ٥ / ٢٠١٦ ميلادية

الاستغفار صلة العبد مع ربه

يقول نبيّ الله إدريس عليه وعلى نبيّنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم آلاف التحية والسلام في الفصل الثالث من صحيفته معاذلة النفس، التي هي صحيفة من صحف إدريس عليه السلام ما يلي:

> يا نفسُ ! تيقّني أنك قد برزتِ عن أصلٍ أنت فرعه، وأن الفرع، وإن جرى إلى غاية البُعد عن أصله، فإن بينه وبينه وصلة ورباطًا، ولهذه الوصلة والرابطة يستمدّ كلُّ فرع من أصله كالشجرة المثمرة، فإن الثمرة وإن بعدت عن أصلها المبدئ لها، فإن بينها وبينه اتّصالًا ذاتيًّا به يكون استمدادها منه. ولو عَدِمَتْ ذلك الاتّصال، بأن يقطع بينهما قاطع ما سواهما، فحال بين الأصل والفرع وأوجب قطع المادة عن الفرع، لفسد في الحال وتلف. فتصوّري يا نفسُ هذا، وتيقّنيه، واعلمي أنك راجعةٌ إلى مَبْدَئك الذي هو أصلك، فتهذّبي من أوساخ الطبيعة وأوزارها المبطئة بك عن سرعة الرجوع إلى عالمك وأصلك.

يا نفسُ ! إن الوجود كمثل دوحة عظيمة، وأنت كمثل ثمرة في تلك الدوحة العظيمة، تستمدّين منها حياتك ووجودك حيّة، نابضة قلبك، جارية دماؤك، غضّة عروقك وشراييناك، متنفّسة رئتيك، جارية شهيقك وزفيرك.

فالشجرة أصلك، فكلّما استسلمت لشجرتك سقتك من مائها سقيًا وريًّا رويًّا، وأمدّتك من معين الحياة خلقًا سويًّا.

كنت في نواة بذرة الشجرة، وصوّرت هناك في عالم الذرّ، قبل أن تبزغ شمسك على هذا الوجود. إن بينك وبين الوجود صلة ورباطًا، وإن فيك حنينًا إلى الوجود، وللوجود حنين إليك، فالوجود دائمًا أبدًا يدعو ابنه الضالّ وعبده الآبق أن يرجع إلى أحضانه مكرّمًا معزّزًا.

فقال جلّ من قائل[1] : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾.

يا نفسُ ! يريد منك الوجود أن ترجعي إليه. فاستغفري لذنوبك دائمًا أبدًا دأبًا سرمدًا، وأن لا تصرّي على ما تفعلين، فإنك تعلمين ضعفك، وهو المحيط بك وبضعفك، يغفر لك إن أنت استغفرته، ويستجيب لك إن أنت دعوته، ويقبلك إن أنت تبت إليه ورجعت إلى أحضانه.

[1] سورة آل عمران ١٣٥-١٣٦.

عبودية الله في فطرتك

يا نفسُ ! عبوديّتك لله متجذّرة في فطرتك، حيث أقررت في عالم الذرّ لربّ العالمين بربوبيّته بقولك (بلى) حين سألك: ألستُ بربكم ؟

يا نفسُ ! إن علم اليقين باب يفتحه الله على عبده بعد التوبة النصوح، ونور يشرقه الله في قلب التائب السالك في سيره وسلوكه إلى الله سبحانه وتعالى. يقول إمامنا ومقتدانا الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: " إلهي أَنْتَ الَّذي أَشْرَقْتَ الأَنْوارَ في قُلُوبِ أَوْلِيـآئِكَ حَتّى عَـرَفُوكَ وَوَحَّدوكَ ".

فالسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو ما هي جذور حبّنا وعبوديتنا لله في فطرتنا ؟ وكيف أن طلب الله يلحّ علينا في داخلنا عند التوبة النصوح ؟ وكيف أن شيئًا ما في وجودنا، بعد التوبة النصوح، يلومنا على الدوام على الآثام والمعاصي التي ارتكبناها ونرتكبها، والتي تبعدنا عن الله، ثم ينصحنا ذلك الشيء بأن لا نعود إلى الآثام مرة أخرى ؟

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران الآية ١٣٥- ١٣٦: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّـهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّـهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَـٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾.

ولماذا تحدث كل هذه الأشياء في وجودنا، رغم أننا مرتاحون ظاهريًّا في الدنيا، لحصولنا على المطعم والمشرب والنوم والجنس والمسكن والملبس، أي الحصول على إرضاء حوائجنا الإنسانية الأساسية الستة ؟ علمًا بأن حوائجنا البهيمية الأساسية هي خمسة، وهي المطعم والمشرب والنوم والجنس والمسكن.

يا نفسُ ! يجب الوغول في أعماق نفسك للتعرّف على ما هو مكتوب في فطرتك منذ تكوينك في رحم أمك. سترين حوائجك الستة الأساسية، لأنك تسعين ليل نهار لإرضائها. ولكن هل ترين أشياء أخرى في وجودك تحتاجينها غير هذه الحوائج الأساسية الستة ؟ هل ترين أشياء وحوائج أخرى تؤرّقك رغم حصولك على حوائجك الأساسية ؟

يا نفسُ ! إنه الله، وهو ربك الذي خلقك ويخلقك الآن، ويخلق الآن في وجودك ملايين الملايين من الخلايا الحيّة، التي تحلّ محلّ خلاياك التي تموت باستمرار.

نعم إنه الله، وهو ربك الذي يربّيك في كل اللحظات، لا يتوقّف عن تربيتك طرفة عين، ويدبّر كل أمور حياتك، من تناوب موت الخلايا وخلقها من جديد، ومن تناوب النوم واليقظة، ومن تناوب الليل والنهار، ومن تناوب النور والظلمة، ومن تناوب الصحّة والمرض، ومن تناوب المطعم والمشرب ودفعهما، ومن نبض القلب المستمرّ ، والنفَس الذي لا يتوقف، ودورة الدم في شراييناك وعروقك، وعمل ووظائف كل جوارحك، وغيرها وغيرها، مما لا تعدّ ولا تحصى، في نظام بديع، لا يستطيع العباقرة والنوابغ فعل جزء صغير جدًّا جدًّا من هذه المعجزات البديعة.

يا نفسُ ! سوف تعرفينه، لا عن طريق غيرك، بل في نفسك، لأنه مألوف لديك. ولكنك أبعدته عنك بفعل الطبع والعادة التي رانت على قلبك، ووضعت عليه الأغلال والسلاسل، حتى باتت القلوب لا تفقه، والعيون لا تبصر، والآذان لا تسمع. أو ما سمعت قول الله سبحانه وتعالى في سورة الأعراف الآية ١٧٩: ﴿ وَلَقَد ذَرَأنا لِجَهَنَّمَ كَثيرًا مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ لَهُم قُلوبٌ لا يَفقَهونَ بِها وَلَهُم أَعيُنٌ لا يُبصِرونَ بِها وَلَهُم آذانٌ لا يَسمَعونَ بِها أُولـئِكَ كَالأَنعامِ بَل هُم أَضَلُّ أُولـئِكَ هُمُ الغافِلونَ ﴾

يا نفسُ ! اكسري العادة، فإنّ كسر العادة عبادة، كما يقوله مولاي وشيخي صادق العنقا قدّس سرّه. فوالله الذي لا إله غيره، لو انزاحت عنك حجب العادة، وظنون التعوّد،

وقسوة القلب، وتصلّب الحواس، لكنت وجهًا لوجه أمام روعة الخالق وآياته ومعجزاته، في عجَب وحيرة دائبتين دائمتين، لا يبقى لك وقت للنظر إلى غيرها !!! أو ما يقول الله تعالى في حقّ النبي المصطفى (صلوات الله عليه وآله): ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾[1] ! أو ما يقول الله تعالى في حقّ أهل الكهف[2] : ﴿أَم حَسِبتَ أَنَّ أَصحابَ الكَهفِ وَالرَّقيمِ كانوا مِن آياتِنا عَجَبًا﴾ ! فَهُم والله ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بالتبرّء من العادات، وعدم التعوّد على الآيات، كأنهم يرون كل شيء وكأنه يحدث لأول مرة في حياتهم !!! أما حصل لك أن رأيت شيئًا لأول مرة في حياتك ! كيف كان عجَبك وحيرتك !!! ولكنك مع الأسف تتعوّدين عليها، فيذهب بريق العجَب عنك. أما في العرفاء وأولياء الله الصالحين فإن بريق العجَب معهم في أي زمان وفي أي مكان.

يا نفسُ ! يقول الله تعالى في سورة الأعراف الآية ١٧٢: ﴿وَإِذ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَني آدَمَ مِن ظُهورِهِم ذُرِّيَّتَهُم وَأَشهَدَهُم عَلى أَنفُسِهِم أَلَستُ بِرَبِّكُم قالوا بَلى شَهِدنا أَن تَقولوا يَومَ القِيامَةِ إِنّا كُنّا عَن هـذا غافِلينَ﴾. وفي سورة يس الآيات ٦٠-٦١: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

فما أن ولدت في هذه الدنيا، حتى احتوتك الأسرة والمجتمع وأصدقاء السوء، بعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم، واحتواك الطبع بأغلاله وسلاسله، كما تتسلّط العنكبوت على فريستها في شباكها، وأبعدك الطبع عن فطرتك التي فيها هذه العهود والمواثيق، فأصبحتْ غريبة عليك وغير مألوفة، كأني أتحدّث عن الغرباء لا عن فطرتك أنت !!!

---

[1] سورة الصافات ١٢.

[2] سورة الكهف ٩.

يا نفسُ ! ألم تقولي لربك بلى شهدنا ؟ ألم يعهد إليك ربك أن لا تعبدي الشيطان؟ ألم يعهد إليك ربك أن تعبديه وحده ؟ ألم يقل لك ربك إن الشيطان لكم عدوّ مبين ؟ ألم يقل لك ربك ما هو الصراط المستقيم ؟

يا نفسُ ! إن كل ذلك مكتوب في فطرتك، فاعرفي نفسك يا أيتها المسكينة ! أتنتظرين أن يقول لك غيرك ما هي الأسرار التي نقشت وحفرت في وجودك ؟

يا نفسُ ! إنها في وجودك أنت فاقرئيها. ﴿ اقرَأ كِتابَكَ كَفى بِنَفسِكَ اليَومَ عَلَيكَ حَسيبًا ﴾[1]، كما يقوله الله تعالى في سورة الإسراء. فانهضي من سباتك، واستعيدي وعي الأزلية والسرمدية، الذي كُتبت وحُفرت فيه المواثيق والعهود الربانية.

يا نفسُ ! أتنتظرين من الفلسفات أن تقول لك شيئًا من أسرارك ؟ فإذا أصغيت إليها هلكت، لأنها توغلك في الظلمات. أم تنتظرين من المحاضرات أن تنوّر قلبك ؟ ألا إن نور العلم يقذفه الله في قلب من يشاء - كما يقول المصطفى (صلوات الله عليه وآله) ! ألا إنَّ اللهَ يَهْدِي لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ- كما جاء في سورة النور الآية ٣٥. فانشدي النور يا عزيزتي لا المعلومات والمحفوظات المنقولة والمعقولة. فكما يقول المثل:" ثَكَلَتْكَ أُمّكَ أَيّ جرْدٍ تَرْقَعُ ".

يا نفسُ ! إنك تطلبين ما لا نفع فيه، وتنشدين الترّهات لقتل أوقات الفراغ. أليس الأحسن والأجدى لك أن تنشدي النور، وتطلبيه من الله نور السموات والأرض.

يا نفسُ ! تعرّضي للتربية المباركة، واسقطي الإضافات عن فطرتك، وانزعي عنك جلدة الطبع السميكة، لعلك تجدين إلى وسائط فيض ربك ورحمته سبيلًا !!!

يا نفسُ ! أما تسمعين السيد حسين العالم قدّس سرّه ينادي بأعلى صوته ؟ : " أيها الناس إنّ اليقين هو الذي يصل بالإنسان إلى مقام الشهود والإيمان الكامل، وإن كان

---

[1] سورة الإسراء ١٤.

ذلك الإنسان عاصيًا لله في بداية أمره، ولكن إذا لازمه اليقين، صعد إلى أوج سعادته. فانظري إلى أحوال بشر بن الحارث المشهور ببشر الحافي، كان من أهل المعصية في بداية أمره، ولكنه كان متيقنًا بحقّانية الإمام عليه السلام، وكان معتقدًا تمام الاعتقاد بالأصول، ومن ضمنها أصل الإمامة، فلذلك أثّر عليه كلام الإمام أثرًا بليغًا، حيث غيّر مسيرة حياته إلى طريق لا رجعة له منه ". ويقول في مكان آخر: " فلقد وصل بشر إلى مرتبة الإيمان الكشفي، ووصل إلى مقام من القرب والزلفى، بحيث شمل المغناطيس الإلهي روحه وبدنه وجميع جوارحه، المغناطيس الذي كان يجذب العاصين جذبًا إلى الله تعالى ".

يا نفسُ ! تعرّضي للتربية المباركة والنفحات الربانية، واسقطي عنك ما كسبته طوال حياتك، من الإضافات على فطرتك، من المعلومات الدنيوية (وأنا أتسامى عن أن أسمّيها علومًا)، التي ربّت فيك العُجْب والكبرياء، وغذّت فيك الغرور، وسلبت منك التواضع، حتى ظننت أنك أعلم الناس، في حين أنك في أسفل السافلين من جهالتك، حتى أصبحت كمثل ابنة الجبل مهما يقل تقل، تكرّر المحفوظات والمنقولات والمعلومات التي تصدر من هذا أو ذاك من الأدعياء ! أو ما قال لك الله عز وجل في سورة الإسراء الآية ٣٦: ﴿ وَلا تَقفُ ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ إِنَّ السَّمعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤادَ كُلُّ أُولـئِكَ كانَ عَنهُ مَسئولًا ﴾.

يا نفسُ ! ألا إن نور العلم هو فيك، فاكتشفيه في فطرتك، واسعي إلى التزكية وإلى جهاد النفس، الذي هو الجهاد الأكبر. فإن لم تفعلي كان سمعك وبصرك وفؤادك كل أولئك عنه مسئولًا. وإن لم تفعلي فاستعدّي لنداء التوقيف الذي يدوّي يوم القيامة[1] : ﴿ وَقِفُوهُمْ

[1] سورة الصافات ٢٤.

إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ ". واستمعي إلى ما يقوله السيد حسين العالم قدّس سرّه، شارحًا أسباب تسميته بالجهاد الأكبر:-

" فقتل الكفار بالسيوف وتضحية النفس في الحروب جهاد أصغر، ومحاربة النفس ومقارعة الشيطان جهاد أكبر. والسبب في ذلك أن في جهاد النفس عدوّك في داخلك، ولهذا العدوّ مكائد كثيرة، وهذه المكائد خفيّة ودقيقة جدًّا تتناسب مع مشرب كلّ واحد منكم. إضافة إلى ذلك، إن القوى والجوارح التي يتمتّع بها العدوّ في داخل النفس الإنسانية، هي نفس القوى والجوارح التي يجب على العقل استعمالها في دفع ذلك العدوّ اللدود. وعلاوة على ذلك، إن في الجهاد الخارجي قتل العدوّ وهلاكه مفيد وليس مضرًّا، في حين أن في الجهاد الداخلي هلاك العدوّ غير جائز، لأن العدو هنا عبارة عن النفس، وإذا هلكت النفس هلك الإنسان. ولكن يجب جهاد النفس بأسلوب يجعلها مطيعة للأحكام الإلهية. فلذلك لم يقل الرسول الأكرم (صلوات الله عليه وآله) بأنه قتل شيطانه، بل قال: " أسلم شيطاني على يدي وأعانني الله عليه "[1] .

[1] من كتابي قدوة الفقهاء والعارفين.

أرجو مزاجًا من مزاجك صبغة

يا نفسُ ! إن الله هو المبدأ وهو الأصل وأنت الفرع، وإن كل أسباب حياتك في هذا الأصل وفي هذا المبدأ. فلا تنسي الأصل والمبدأ، وجاهري بحنينك وأوبتك إلى المبدأ بكل وجودك، فإن في ذلك حياة لك، ونعم الحياة ! ونعم الحيوان ! فلا تبتعدي عن المبدأ، والتصقي به التصاق الفصيل بأمّه، فإن الابتعاد عنه سبحانه وتعالى موت لك، وفساد وتعفّن، كما للثمرة موت وفساد، إذا هي قُطعت وفُصلت عن الشجرة.

يا نفسُ ! أهمّ عرى التواصل مع مبدئك هو ذكر المبدأ باللسان والقلب والحال والمزاج، فإن كان ذكرك باللسان فهو الذكر الجليّ، وإن كان بالقلب فهو الذكر الخفيّ، وإن كان بالحال فهو الذكر الأخفى، وإن كان بالمزاج فهو الذكر المتجلّي.

يا نفسُ ! فأنت حينئذ تجلّي من المبدأ بعينه يمشي على الأرض ! أرجو مزاجًا من مزاجكَ صبغة، ولقد تجلّى في مزاجي وصبغتي.

أو كما عبّرت عنه شعرًا:

وإذا جفت كل العوالم خلوتي ... فلقد أنست بمونسي من وحشتي
من ذا إذا ناجيته ناغيته ... في نشأة الروح ولا في نشأتي
وإذا جفت سرّي كدورات الهوى ... فلقد أنست بنوره في غربتي
يا من إليه لجأت عند شدائدي ... ونشدت حضن دلاله في كربتي
الله يشهد أن كلّ مصيبتي ... وعظيم كربي والبلاء وشدّتي
نفسي ونفسي في مزاجي إن بدت ... وإليك منها ألتجي من ورطتي
كلي وكلي منك يا رب الورى ... وقواي منك ومنك حولي وطاقتي
وإليك يا ربي وجودي كله ... روحًا وجسمًا ذرّة بعد ذرّة
وفي هذه الدنيا إلهي وسيدي ... جوارك عشقي لحظة بعد لحظة

وأحـــب أن أفـــنى وأبـــقى خالـــدًا وأعـــود للبحـــر الوســـيع بقطـــرتي
أرجـو مزاجًـا مـن مزاجـك صـبغة ولقـــد تجـــلّى في مـــزاجي وصـــبغتي

والروح في جذب إلى مبداها

١٠٤٩ قَدْ أَطْلَقُوا رُوحِي لِمَنْ قَفَصِ الثَّرَى ... وَهَبُوا لَهَا جُوداً سُرَى إِسْرَاهَا

١٠٥٠ قَدْ تَيَّمُوا رُوحِي بِعِشْقِ وَلِيِّهَا ... فَالرُّوح مِثْلُ الطَّيْرِ فِي أَجْوَاهَا

١٠٥١ فَالطَّيْرُ فِي شَدِّ الرِّحَالِ لِمَوْلِدٍ[١] ... وَالرُّوحُ فِي جَذْبٍ إِلى مَبْدَاها

١٠٥٢ قَدْ أَطْلَقُوا الطَّيْرَ الْحَبِيسَ وَتَيَّمُوا[٢] ... طَيْرَ السَّمَا فِي نِيرِ شَدِّ قُوَاهَا

١٠٥٣ يَا طَيْرَ وِدْيَانِي وَرُوحَ صَبَاحِنَا ... وَدَوِيّ فَجْرٍ أَنْهَضَتْ دُنْيَاهَا

١٠٥٤ فَقَدِ الْتَقَيْنَا فِي سَمَا حُرِّيَّةٍ ... شَدْواً وَتَسْبِيحاً لِرَبِّ عُلَاهَا

١٠٥٥ وَضَجِيجُنَا بِالْفَجْرِ آيَةُ إِسْمِهِ ... حَيٌّ وَقَيُّومٌ لَمَنْ أَسْمَاهَا

١٠٥٦ وَتَمَلَتُ مِنْ أَصْوَاتِ حُسْنٍ فِي انْدِلا ... عِ لِسَانِ صُبْحٍ مِنْ دُمُوسِ[٣] دُجَاها

١٠٥٧ أَتُرَاكِ عَائِشَةً لَفِي أَلْحَانِنَا ... وَيَذُوبُ قَلْبُكِ فِي شَرَابِ شَجَاها

١٠٥٨ أَتُرَاكِ سَارِحَةً لَفِي أَكْوَانِنَا ... وَيَعِيشُ قَلْبُكِ سِرَّنَا وَجَوَاها

١٠٥٩ فَلَأَنْتِ آيَاتٌ لَمَنْ أَسْمَائِهِ ... وَأَنَا حَقِيقَةُ سِرِّهَا وَجَلاها

١٠٦٠ فَلَقَدْ تَعَلَّمَ آدَمٌ فِي قِدْمِهِ[٤] ... أَسْمَاءَهُ الْحُسْنَى بِرَوْعِ بَهَاها

١٠٦١ وَنَسُوا لِحِينِ سُبَاتِهِمْ[٥] إِسْماً لَهُ ... ذَكَرُوهُ حِينَ تَرَنَّمَتْ وَرْقَاها

١٠٦٢ عَاشُوا الْحَيَاةَ بِكُلِّهَا وَبِصِدْقِهَا ... إِسْمٌ تَعَلَّمَ آدَمٌ فَوَعَاها

١٠٦٣ فَالْحَيُّ إِسْمُ جَلَالِهِ وَوَلِيِّهِ ... أَوْفَى بِهَذَا الإِسْمِ فِي دَارَاها

١٠٦٤ فَتَعَلُّمُ الأَسْمَاءِ عِنْدَ وَلِيِّهِ ... عَيْشٌ لَفِي أَسْمَائِهِ حُسْنَاها[١]

---

[١] إشارة إلى هجرة الطيور إلى مكان ولادتها وهجرة الروح الطاهرة إلى الله.

[٢] تيّمه الحب: عبّده وذلّله.

[٣] دموس: اشتداد الظلام.

[٤] أي في الزمان القديم.

[٥] السبات: النوم.

١٠٦٥ فَـوَفَى الـوَلِيُّ بِعَهْـدِهِ فِي حِفْظِـهِ أَسْمَـاءَهُ الحُسْـنَى لَقَـدْ جَلّاهـا

١٠٦٦ يَا صِـفْرِداً[٢] طَرِبَـتْ لَهَـا وِدْيَانُهَـا ذَكَّرْتِنَـا لَحْـنَ السَّـمَا وَنَقَاهـا

١٠٦٧ يَا لَيْـتَ أَلْحَـاناً بِـوَادِي مَطْـرَحٍ حَمَلَـتْ إِلى قَـوْمِي صِـبَا[٣] رَيَّاهـا[٤]

---

[١] أي أن تعلّم الوليّ للأسماء الحسنى هو قيامه بحقيقة هذه الأسماء، بل إنّ حياته ووجوده تجسيد وتجلية لهذه الأسماء.

[٢] الصفرد: طائر من خشاش الطير تكنّيه العامة أبا المليح، يُضرب به المثل في الجبن، وصوته الجميل له دويّ في الوديان.

[٣] الصبا: الشوق.

[٤] ريّاها: ريحها الطيبة.

لا يدخل ملكوت الله من لم يولد مرّتين

فاحذري يا نفسُ ! فإن ورودك إلى الطبيعة بكل ما فيها من أضداد له تبعات، ولكن جهادك في أعماق نفسك على معرفة أسرار نفسك، وأسرار الطبيعة، وأسرار الأضداد، التي هي في الطبيعة، يدلّك على أسرار التواصل مع المبدأ، ويقوّي عرى التواصل والالتحام بالمبدأ.

يا نفسُ ! إن في ذلك لك حياة جديدة وولادة جديدة، هي أهمّ بكثير من الولادة الأولى. فولادتك الأولى هي الولادة في الطبيعة، من دون علمك، ومن دون شهودك، فإنه جلّت قدرته لم يشهدك خلقك، خلقًا من بعد خلق، في ظلمات ثلاث، في بطن أمّك، ثم طفلًا، حتى إذا بلغت مرحلة الوعي عرفت قصّة ولادتك في الطبيعة.

يقول الله تعالى في سورة الزمر ٦: ﴿ خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّـهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾.

ويقول سبحانه وتعالى في سورة الكهف ٥١: ﴿ ما أَشهَدتُهُم خَلقَ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَلا خَلقَ أَنفُسِهِم وَما كُنتُ مُتَّخِذَ المُضِلّينَ عَضُدًا ﴾.

يا نفسُ ! كما أن ولادتك الأولى كانت الولادة في الطبيعة، كذلك فإن ولادتك الثانية هي الولادة عن الطبيعة، وفي ملكوت الله، حيث تخطين خطوات لمعرفة النفس وأسرارها، فتجدين معالم تجانسك مع المبدأ معلمًا معلمًا.

إن هذه الولادة يا نفسُ ! هي في قمّة نضج المعرفة والشهود، حيث تشاهدين المبدأ في الآفاق والأنفس، وتجرّبين أحلى أيام حياتك في معرفة المبدأ ومعايشته.

يا نفسُ ! في جوار المبدأ تستأنسين به وتناجينه وتتحدّثين إليه، ويستأنس بك ويتحدّث إليك، بل يضمّك إلى صدره ويحتضنك ويدلّلك، لأن المبدأ يفرح برجوع النعجة الضائعة إلى قطيعها، ويحبّها حبًّا جمًّا ويدلّلها، ويعرضها على ملائكته، متباهيًا بالنعجة الضائعة التي رجعت إلى قطيعها، وتخلّصت من التيه في أيام الضياع، ومن الخطرات الداهمة من قبل الحيوانات المفترسة.

التوبة النصوح

يا نفسُ ! توبي إلى بارئك توبة نصوحًا، كما ذكرها عيسى عليه السلام[1] :

سأل برنابا: أيها المعلم إذا سأل الناس الحواريين عن الطريقة التي بها يندمون ويتوبون، فماذا يكون جوابهم ؟

أجاب عيسى عليه السلام: إذا أضاع الإنسان محفظته، هل يدير عينه فقط للنظر إليها، أو يمدّ يده فقط لالتقاطها، أو يحرّك لسانه فقط للسؤال عنها ؟ بالتأكيد لا ! بل إنه يدير كل بدنه، ويستعمل كل طاقة في وجوده، كي يجد المحفظة. هل هذا صحيح ؟

أجاب برنابا: صحيح جدًّا.

فقال عيسى عليه السلام: التوبة هي قلب نمط الحياة الشريرة رأسًا على عقب[2] . لأن كل حاسة يجب أن تقلب رأسًا على عقب، من حالتها الآثمة إلى حالة الصلاح والسداد، بحيث يجب أن يتحوّل الفرح والسرور إلى حزن وحداد، والضحك إلى نوح ونحيب وبكاء، والمرح والطرب والعربدة إلى صيام، والنوم إلى قيام الليل وصلاة وسهاد، وأوقات الفراغ إلى نشاط، والشهوة والشبق إلى ورع وعفة وطهارة وسداد، واللغو إلى صمت ومناجاة الله وصلاة، والطمع والبخل وحبّ المال إلى إحسان وزكاة.

فأجاب برنابا: وإذا سألوهم كيف نحزن، وكيف نبكي وننوح، وكيف نصوم، وبأي نشاط نقوم، وكيف نبقى طاهرين عفيفين ورعين، وكيف نصلّي وندعو ونناجي، وكيف نحسن ونتصدّق ونزكّي، فماذا يكون جوابهم ؟ وكيف يتوبون بالضبط، إذا كانوا لا يعرفون طريقة الندم ؟

---

[1] من كتابي هكذا تكلم عيسى ع صفحات ٣٠٩-٣١٦.

[2] إنها والله السير والسلوك ! فإن الإنسان لا يقلب نمط الحياة الشريرة رأسًا على عقب إلا حين دخوله السير والسلوك.

أجاب عيسى عليه السلام: خيرًا سألت يا برنابا. وأنا أريد أن أجيبك بالكامل، إذا كان رضا ربي في ذلك. فاليوم سأتحدّث عن التوبة والندامة على وجه العموم.

فاعلموا أن التوبة يجب أن تكون قبل كل شيء خالصًا مخلصًا صرفًا محضًا لحبّ الله، وإلا فالندم سيكون عملًا عبثًا. وأضرب لذلك مثلًا:

أيّ عمارة إذا أزيل أساسها، تحوّلت إلى حطام وأنقاض. هل هذا صحيح ؟

أجاب الحواريون: بلى صحيح.

فقال عيسى عليه السلام: أساس خلاصنا هو الله، والذي بدونه لا يكون خلاصًا ولا فلاحًا. فلو اقترف الإنسان إثمًا ومعصية[1] ، فقد أضاع أساس نجاته. فالواجب عليه أن يبدأ بالأساس.

أخبروني إذا أخطأ عبيدكم بحقكم، وعلمتم بأنهم لم يأسفوا ولم يحزنوا على إسائتهم إليكم، بيد أنهم أسفوا وحزنوا على خسرانهم مكافأتكم، هل ستعفون عنهم ؟ بالتأكيد لا ! لذا أخبركم بأن الله لن يعفو عن أولئك الذين ندموا لخسرانهم الجنة.

انظروا إلى الشيطان الذي هو عدوّ كل عمل صالح، فقد ندم ندمًا شديدًا على خسارته الجنة ونيله نار جهنم. رغم ذلك فإنه لن ينال رحمة الله بسبب هذه الندامة. هل تعلمون لماذا ؟ لأنه لا يحبّ الله، بل بالعكس إنه يبغض خالقه.

الحق أقول لكم: إن كل حيوان، بحسب غريزته، إذا خسر ذلك الشيء الذي يرغب فيه، فإنه يحزن على ما ضاع منه. لذلك فإن الآثم الذي يتوب بصدق، يجب أن تكون عنده رغبة ملحّة، لمعاقبة كل توجّه واهتمام في ذاته ضد خالقه.

---

[1] الإثم والمعصية عند الناس العاميّين هو نسيان الله بألسنتهم، وعند الخاصّة نسيانه بقلوبهم، وعند الأولياء نسيانه بأحوالهم، وعند الأنبياء نسيانه بأمزجتهم.

لذلك فالذي يصلّي ويدعو ويناجي ربه، كيف يتجاسر أمام الله بإظهاره الشوق والحنين إلى الجنة، وطلبه المكافأة من الله، وتحريره من النار ! يجب عليه بدل ذلك أن يخرّ ساجدًا لله، في وجل وخزي وخجل، يدعو ويناجي ربه قائلًا :

يا ربي انظر إلى هذا المجرم أمامك بعطف ورفق ورأفة، الذي أساء إليك بدون سبب بدل أن يخدمك. ألتمس منك أن تعاقبني لمعصيتي، بيدك لا بيد عدوك الشيطان، كي لا يشمت بي الكافر، ويفرح ويبتهج لعقابي الملحد. يا ربي اقتصّ مني، وعاقبني كما يسرّك ويرضيك، لأن عذابك مصحوب برحمتك، لا كعذاب الشيطان الشرير المصحوب بالقسوة والجفاء.

وبهذه الطريقة من التوبة والندامة، سيجد الآثم رحمة الله ورفقه وعطفه ورأفته، أكثر بكثير من ذاك الذي يطلب المكافأة، ولا يسأل الله من فضله.

حقًّا إن ضحك الآثم انتهاك مقيت لحرمات الله، بحيث أن هذا العالم المقيت قد سمّاه بحق أبونا داود واديًا من الدموع.

كان هناك ملك قد تبنّى أحد عبيده، وجعله سيدًا على كل ممتلكاته. واتفق أن وشى به رجل شرير، بحيث تعرّض هذا المسكين لسخط الملك وحنقه. فعانى بؤسًا وفاقةً وشقاءً وتعاساتً كثيرة، لا في ثروته وتدنّي معيشته فحسب، بل في أن الملك قد احتقره واستخفّ به، وجرّده من كل ما كسب بعرق جبينه. هل يمكن لمثل هذا الشخص أن يضحك !

أجاب الحواريون: كلا بالتأكيد ! لأن الملك إذا سمع بأنه يضحك قتله بسبب ضحكه وسخريته من سخط الملك. بل يحتمل أن هذا المسكين سوف يبكي وينتحب ليل نهار.

فبكى عيسى عليه السلام وقال: اللعنة على أهل هذه الدنيا، لأنهم حقًّا يساقون إلى عذاب أبدي ! يا أيها الإنسان الشقيّ ما غرّك بربك الكريم ! فقد انتخبك وعاملك كابن

مدلّل ووهبك الجنة ! فتعرّضت أيها الشقي، بوسوسة الشيطان، لسخط الله وحنقه، وطردت من الجنة، وأدنت بالعيش في عالم دنس نجس وسخ قذر، تكدح فيه لأي شيء، وتخسر فيه أي عمل صالح، بارتكابك المستمرّ للمعاصي والآثام.

وأهل الدنيا يضحكون بهذه البساطة ! والأسوء من ذلك أن المجرم والشرير الأكبر يضحك أكثر من الباقين. وكما قلتم فإن الله سبحانه وتعالى سوف يحكم على من يضحك على معاصيه، ولا يبكي عليها، بالخسران والعذاب الأبدي.

إن بكاء الآثم ينبغي أن يكون كبكاء الأب الحنون، الذي ينتحب على ولده الذي يحتضر. وما أكبر جنونك أيها الإنسان ! تبكي على الجسد الذي يفارقه الروح، ولا تبكي على الروح الذي تفارقه رحمة الله بسبب الذنوب !

أخبروني إذا كان البحّار قد كسرت سفينته وحطّمت وأغرقت، بسبب العواصف، وكان بإمكانه أن يسترجع كل ما خسره ببكائه ونحيبه، ماذا كان سيفعل ؟ من دون ريب ولا شك، لكان يبكي بمرارة.

الحق أقول لكم: إن الرجل إذا بكى على أي شيء دنيوي فهو آثم، ما عدا ذاك الذي يبكي على ذنوبه ومعاصيه من خشية الله. لأن كل المصائب والبلايا، التي يبتلى بها الإنسان، تأتي من الله لخلاصه وإنقاذه، ولذلك ينبغي له أن يبتهج لها ويتهلل. بيد أن الذنوب تأتي من الشيطان لهلاك الإنسان. فكيف لا يحزن هذا الإنسان من الذنوب ! حقًّا ستلاحظون كيف أنّ الإنسان ينشد الخسارة لا الربح.

فقال بارتولوميو: يا سيدي ماذا يفعل ذاك الرجل الذي لا يستطيع البكاء، لأن قلبه لا يستسيغ البكاء ؟

أجاب عيسى عليه السلام: يا بارتولوميو ليس كل من يذرف الدموع يبكي. بحق الحي الذي لا يموت، هناك أشخاص لم تذرف من عيونهم دمعة، بيد أنهم بكوا بمقدار يزيد عن ألف شخص أكثر من أولئك الذين يذرفون الدموع.

بكاء الآثم هو استنفاد العاطفة البشرية بشدة الحزن. فكما أن ضوء الشمس يحفظ الشيء من التعفّن، إذا وضع ذلك الشيء في مكان أعلى وأكثر ارتفاعًا، كذلك استنفاد عاطفة الحزن يحفظ الروح من الذنوب.

لو أن الله منّ على أهل التوبة النصوح دموعًا، لكانوا اشتاقوا إلى ذرف الدموع، بمقدار يفوق مقدار مياه البحر. كذلك هذا الشوق يستنفد الدمعة الصغيرة، التي تذرف باشتياق ورغبة، كما يستهلك الأتون المتوهّج قطرة من الماء. بيد أن أولئك الذين تتفجّر دموعهم بسهولة، مثلهم كمثل الحصان، كلما خفّ حمله زادت سرعته.

هناك حقًّا ناس ذوو عاطفة باطنية ودموع ظاهرية معًا، وهكذا كان إرميا النبي. إن الله ينظر إلى الحزن في بكاء عباده، أكثر مما ينظر إلى الدموع.

فقال جون: أيها المعلم كيف أن الناس يخسرون في البكاء على أشياء أخرى غير الذنوب ؟

أجاب عيسى عليه السلام: إذا أودعك هيرود عباءة كأمانة، ثم استردّها، أيكون ذلك مبرّرًا لك للبكاء ؟

قال جون: كلا !

فقال عيسى عليه السلام: أيها الأحمق ! فالأحرى أن لا يكون هناك مبرّر للبكاء على أشياء يودعك الله أمانة، ثم يستردّها منك، لأن كل شيء يأتي من يد الله. أليس لله حق في أن يتصرف بأشياء أودعها أمانة، متى ما شاء ذلك ؟ والذي تمتلكه أنت أيها الأحمق هو ذنوبك وحدها فقط، التي ينبغي لك البكاء عليها لا شيء آخر.

إن لم تكن في يقين فلا علم لك

يا نفسُ ! تيقّني ما أقول، لأن اليقين هو العلم، وأن عين اليقين هو الشهود، وأن حق اليقين هو التجلّي. وإن لم تكوني في يقين فلا علم لك ولا معرفة، بل أنت واحدة من الببغاوات تردّدين كلام القاطنين في منطقة الضياع، وما أكثرهم !

يا نفسُ ! لا بد من التهذّب سريعًا من أوساخ الطبيعة وأوزارها المبطّئة بك عن سرعة الرجوع إلى عالمك وأصلك. يا نفسُ ! ألا تحبّين عالمك ؟ ألا تحبّين عالم الفردوس حيث عشت مرتاحة البال من كل شيء ؟ ألا تحبّين جنّة الفردوس التي تزهق لها الأرواح الطاهرة حيث السعادة المطلقة الخالدة ؟

يا نفسُ ! المطلوب منك أن ترجعي إلى النفس المطمئنة الخالدة، في هذه الأيام المعدودة من عمرك في هذه الدنيا. يا نفسُ ! من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى، فافتحي عيونك سريعًا على المعرفة، وأول المعرفة معرفة النفس، وهي المعرفة النافعة لك في الدنيا والآخرة، حيث تسلك بك هذه المعرفة إلى طريق التزكية والتطهّر والتهذّب من أوساخ الدنيا وأوزارها وتبعاتها.

يا نفسُ ! من عرف نفسه فقد عرف ربه، ولا يمكن دخول الدين إلا من باب معرفة الله عز وجل، فأول الدين معرفته، كما قال أمير المؤمنين وسيّد الوصيين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فيك انطوى عالم الله

يا نفسُ ! فيك انطوى عالم الله، كما قال الإمام عليّ عليه السلام مخاطبًا الإنسان:

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمر

إن في كتابي السموات السبع فصلًا يسمّى عالم الله، ذكرناه بالكامل هاهنا:

١٦٨٠ وَلَهَمُنَا حُبُّ الحَبِيبِ وَآلِهِ وَغِنَاؤُنَا فِي العَالَمِينَ ثَنَاهَا
١٦٨١ أَنْفَاسُهُمْ غَذَّتْ نَفِيسَ كُنُوزِنَا فَلَنَحْنُ مِنْ أَنْفَاسِهِمْ أَحْيَاهَا
١٦٨٢ وَصُدُورُنَا مِنْ دَافِئَاتِ زَفِيرِهِمْ وَشَهِيقِهِمْ مِنْ قُدْسِهَا طَفْحَاهَا
١٦٨٣ وَعُيُونُنَا فِي جُلَّنَارِ وُجُوهِهِمْ أَمْسَتْ بِلَوْنِ وُجُوهِهِمْ حَمْرَاهَا
١٦٨٤ وَنُفُوسُنَا مِنْ عِطْرِ أَنْفَاسٍ لَهُمْ طَفَحَتْ بِطِيبِ عُطُورِهَا وَشَذَاها
١٦٨٥ وَقَدِ اسْتَطَالَتْ نَظْرَةٌ مِنَّا لَفِي الْـ أُفُقِ المُبِينِ وَحُمْرَتَيْ وَجْنَاهَا
١٦٨٦ مُتَلَهِّسِينَ جَلالَهُ فِي هَيْبَةٍ وَلَقَدْ وَجَدْنَا جَمَالَهُ بَارَاهَا[1]
١٦٨٧ فَجَمَالُ طَلْعَتِهِ غَدَتْ أُمْنِيَّةً تَهْفُو بِشَوْقٍ نَحْوَهَا عُرَفَاهَا
١٦٨٨ شَفَقُ الْغُرُوبِ وَمِثْلُهَا بِطُلُوعِهَا حَارَتْ لَفِي أَوْصَافِهَا شُعَرَاها
١٦٨٩ فَبِلَوْنِهَا صُبِغَتْ رَقِيقُ مِثَالِنَا[2] وَغَدَتْ تُغَذِّي وَحْيَهَا وَفَنَاهَا

---

[1] باراها: سابقها وعارضها أي أن روعة جمال الله تباري هيبة جلاله.

[2] المثال هو ماهية الإنسان الحقيقية وهي بصورة هالة لا تراها العيون العادية. وتعرف أيضاً بالروح وهي بصورتنا البدنية تماماً وعلى الأخص الوجه منها. وما البدن المادي إلا تصوير عنها. والأصل في وجودنا هو المثال وهو الباقي، أما البدن فهو تصوير أو نسخة، وله عمر مؤقت ويفنى بعد ذلك. ومن اختصاص العرفان العملي صقل هذا المثال وتهذيبه بالجهاد والرياضة والتزكية والتخلّي عن الملكات السيئة والتحلّي بالملكات الرفيعة والعروج إلى الله تعالى، وذلك بطريق الالتصاق والتتلمذ على أولياء الله وتحت تعليماتهم، وكما قال الله تعالى في القرآن الكريم: " وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ " (سورة المائدة، الآية ٣٥)، وهم الوسيلة

١٦٩٠ وَلِأَنْبِيَـــــاءُ اللهِ فِي آفاقِهَـــــا رَأَوُا الْمُهَـــيْمِنَ بُكْـــرَةً وَعِشَـــاها[١]

١٦٩١ وَبِسِـــرِّهِمْ عِشْـــنَا وَنِلْنَـــا جُـــودَهُمْ جُـــدْنَا بِسِـــرِّهِمْ لِأَهْـــلِ صَـــفَاها

١٦٩٢ عِشْـنَا خَبَـايَا[٢] فِي حَـرِيمِ عُلُـومِهِمْ صُـــنَّا خَبَـــايَا مِـــنْ عُلُـــومِ خَفَاهـــا

١٦٩٣ وَلَسِـــرُّهُمْ فِي العَـــالَمِينَ بِبَابِنَـــا وَحَـــرِيمِ أَبْـــوَابٍ لَـــفِي مَأْوَاهـــا

١٦٩٤ وَلَقَـدْ شَـفَفْنَا[٣] بَحْـرَهُمْ فِي غَمْـرَةٍ[٤] وَقَـــدِ اسْتَشَـــفَّتْ رُوحُنَـــا مَغْزَاهـــا

١٦٩٥ بَـدَتِ الْمُسَـمَّى وَانْمَحَـتْ أَسْمَاؤُهَـا ذَابَ الـــكَلَامُ كَمَـــا اعْـــتَلَى فَحْوَاهـــا

١٦٩٦ وَسُرَاتُهَـــا أَمْسَـــوْا حَـــرِيمَ إِلٰهِـــهِمْ قُدْسَـــاً بِسِـــرِّ صَـــبَاحِهَا وَمَسَـــاها

١٦٩٧ حَـرَمٌ[٥] تُـؤَمُّ[٦] لَـفِي بَيَـاضِ ثِيَـابِهِمْ وَشَـــعَائِرٌ تَعْظِيمُهَـــا تَقْوَاهـــا[٧]

١٦٩٨ وَلَعِـــتْرَةٌ فُرْقَـــانُ سَـــيْرِ سُـــلُوكِنَا وَهُمُ سُرَاةُ طَرَائِـــقٍ بِسَـــمَاها

١٦٩٩ وَلَقَـدْ شَرِبْنَـا مِـنْ عُيُـونِ مَعِينِهَـا[٨] وَتَرَكْنَـــا مَـــاءً أَنْتَنَـــتْ بِغُثَاهـــا

١٧٠٠ وَلَنَـــا الْعُيُـــونُ لِغَـــيْرِنَا أَفْلَاجُهَـــا وَلَنَـــا الـــثُّرَيَّا غَـــيْرُنَا بِثَرَاهـــا

١٧٠١ وَيَقِينُنَـــا فَاقَـــتْ رَوَاسِيَ طَوْدِهَـــا وَرَسَـــتْ عَـــلَى الْجُـــودِيِّ فُلْـــكُ بَقَاهـــا[١]

والدليل إلى الله سبحانه وتعالى. وليست الوسيلة بلقلقة اللسان كما يفكر التقليديون بل بالاتباع والتلمذة.

[١] إشارة إلى الآية الثالثة والعشرين من سورة التكوير: " وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ".

[٢] خبايا جميع خبيئة: ما خُبِيء.

[٣] شفّ الماء: شربه كلّه.

[٤] الغمرة: كثرة الماء ومعظمه.

[٥] الحرم: ما لا يحلّ انتهاكه كالحرمين مكّة والمدينة.

[٦] أَمّهُ: قصده.

[٧] إشارة إلى الآية الثانية والثلاثين من سورة الحج: " وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّـهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ".

[٨] المعين: الماء الجاري.

١٧٠٢ فَلَـنَحْنُ فِي فُلْـكِ الْبَقَـاءِ وَحَوْلَنَـا طُوْفَـانُ نُـوحٍ تَزْدَرِي صَرْعَاهَـا

١٧٠٣ وَمُلُـوكُ خُلْـدٍ نَحْـنُ فِي جَـوْفِ الـثَّرَى وَهُمُ عَـلَى سَـاحَاتِهَا قَتْلاهَـا

١٧٠٤ وَلَـنَحْنُ بَعْـدَ مَنِيَّـةٍ أَحْيَاؤُهَـا وَهُمُ لَقَبْـلَ مَنِيَّـةٍ مَوْتَاهَـا

١٧٠٥ وَلَنَـا لَنَاقَـةُ صَـالِحٍ حَـتَّى تَمِـيزَ[٢] بِحُجَّـةٍ عَـنْ حِزْبِنَـا طَغْوَاهَـا[٣]

١٧٠٦ وَلَنَـا سَـفِينَةُ نُوحِنَـا حَـتَّى لَيَغْـ رَقَ هَالِـكٌ وَلِحِزْبِنَـا مَنْجَاهَـا

١٧٠٧ وَلَنَـا لَبَعْـدَ رَسُـولِنَا فِي عِـتْرَةٍ فُلْـكُ النَّجَـاةِ وَعُـرْوَةٌ وُثْقَاهَـا

١٧٠٨ وَقُلُوبُنَـا مِـنْ وِرْدِهِمْ[٤] دَقَّاقَـةٌ أَنْفَاسُـنَا مِـنْ دِفْـئِهِمْ طَفْحَاهَـا

١٧٠٩ نَفَـسُ الْحَيَـاةِ لَطِيفَـةٌ فِي فُلْكِهِـمْ وَثَمُـودُ نَاقَتُهَـا بِنَـا سُـقْيَاها

١٧١٠ وَسَمَـتْ بِنَـا أَسْرَارُهُمْ فِي عِـزَّةٍ وَأَسِرَّةِ[٥] رَبِّ السَّـمَا أَوْلاهَـا

١٧١١ وَصِرَاطُنَـا[٦] كَالسَّـيْفِ تَقْطَـعُ عَـابِراً إِنْ كَانَ فِي قِطْمِـيرِ[٧] ثِقْـلِ هَوَاهَـا

١٧١٢ وَكَشَـعْرَةٍ ضَـاعَ التَّعَـادُلُ فَوْقَهَـا إِلّا بِخِفَّـةِ طُهْـرِ رُوحِ هُـدَاها

١٧١٣ وَلَعَمْـرُكُمْ ثَقُلَـتْ مَـوَازِينٌ بِمَـا عَمِلُـوا بِعِرْفَـانِ الـتُّقَى وَجَلاهَـا

١٧١٤ وَبِنَـا تَرَنَّمَـتِ الزَّبُـورُ بِلَحْنِهَـا وَبِنَـا الْجِبَـالُ وَطَيْرُهَـا أَوَّاهَـا

---

[١] إشارة إلى سفينة نوح في الآية الرابعة والأربعين من سورة هود: (وَقيلَ يا أَرضُ ابلَعي ماءَكِ وَيا سَماءُ أَقلِعي وَغيضَ الماءُ وَقُضِيَ الأَمرُ وَاستَوَت عَلَى الجودِيِّ وَقيلَ بُعدًا لِلقَومِ الظّالِمينَ).

[٢] مازه عن غيره: فرزه عنه.

[٣] أي طغيان قوم ثمود، إشارة إلى الآية الحادية عشرة من سورة الشمس: " كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ".

[٤] الورد: نوع معين من الذكر يعطيه الشيخ لمريده حتى يقوم به ليله.

[٥] أسرّة جمع سرير: تخت الملك.

[٦] الصراط أشدّ من السيف وأدقّ من الشعرة.

[٧] القطمير: القشرة الرقيقة بين النواة والتمرة. يعني حتى إن كان في شيء قليل من ثقل الهوى وحب النفس.

١٧١٥ وَبِنَـــا الْحَدِيـــدُ ذَلِـــيلَةٌ مُنْقَـــادَةٌ لانَـــــتْ طَوَاعِيـــــةً لِقَهْـــــرِ فَتَاهـــــا

١٧١٦ دَاوُدُ فِي الْمُلْـكِ الْعَظِـيمِ غَـدَا بِنَـا قَهْـــرَ الزَّمَـــانِ وَبِالـــدُّجَى بَكَّاهـــا

١٧١٧ وَبِنَـا سُـلَيْمَانُ الْحَكِـيمُ تَهَاطَلَـتْ كَلِمَاتُـــهُ كَالْـــوَدْقِ فَـــوْقَ ثَرَاهـــا

١٧١٨ أَيُّـوبُ فِي عُسْـرِ الزَّمَـانِ وَصَـبْرُهُ آيُ[١] الـــتَّرَوّي مِـــنْ شَرَابِ إِنَاهـــا

١٧١٩ وَبِسِـرّنَا هَنُـؤَتْ[٢] مَعِيشَـتُهُ لَبَعْـ ـدَ مَصَـــائِبٍ وَسَـــقَامِهَا وَضَـــنَاها

١٧٢٠ خُلِقُـوا بِطِينَـةِ فَـيْضِ رَبِّ وُجُـودِنَا وَسِـــوَاهُمُ مِـــنْ طِينَـــةٍ ظَلْمَاهـــا

١٧٢١ مِـنْ نُـورِ طِينَـتِهِمْ غَشَـانَا فَضْـلُهُمْ وَلِمَـــنْ شَرَابِ طَهُـــورِهِمْ رَيَّاهَـــا

١٧٢٢ مِـنْ طِينَـةِ الأَطْهَـارِ شِـيعَةُ[٣] عِـتْرَةٍ وَهُمُ خَلِـيطُ النُّـورِ مِـنْ قُرْبَاهـا[٤]

١٧٢٣ يَحْـذُونَ حَـذْوَ سُـلَالَةٍ مِـنْ أَحْمَـدٍ هُمْ نَفْـسُ أَحْمَـدَ بَـلْ هُمُ أَحْيَاهـا

١٧٢٤ فَهُـمُ السَّـبِيلُ إِلى الْعَـلِيِّ بِعَرْشِـهِ وَهُمُ الـدَّلِيلُ إِلَى زُقَـاقِ[٥] سَمَاهـا

١٧٢٥ مِـنْ عِـتْرَةٍ خَـدَمَتْهُمُ مَلَـكُ السَّـمَا وَالْجَبْرَئِيـلُ بِلَيْلِهَـا وَضُحَاهـا

١٧٢٦ هُمْ وَجْهُـهُ فِي الْعَـالَمِينَ فَنُـورُهُمْ نُـورُ الإِلهِ وَرَبُّ عَـرْشِ عُلاهـا

١٧٢٧ وَبِعِشْـقِهِمْ نِلْنَـا بِبَكَّـةَ حُظْـوَةً وَبِسِـرِّهِمْ نِلْنَـا حَـرِيمَ وِطَاهـا

١٧٢٨ فَحَيَاتُنَـا جَـذَبَاتُ[٦] رَحْمَانِيَّـةٌ ثَقَلاهـا قَـدْ غَبَطَـتْ[٧] لَنَـا لُقْيَاهـا

---

[١] آي جمع آية: علامة.

[٢] هنؤت: صارت هنيئة أي تيسرت من غير مشقة ولا عناء.

[٣] الشيعة هم أتباع العترة الطاهرة المتبعون لهم الذين يحذون حذوهم حذو النعل بالنعل، لا بلقلقة اللسان كما يفكر التقليديون.

[٤] أي هم اختلطوا في كثرة فيوضات العترة الطاهرة ونورهم حتى غدوا من طينتهم ونورهم.

[٥] الزقاق: السكة، الطريق الضيق. يعني هم الدليل إلى التفاصيل اللطيفة السماوية.

[٦] إشارة إلى الحديث النبوي الشريف: " جذبة من جذبات الرحمن تعادل عبادة الثقلين ".

[٧] غبطه: عظم في عينه وتمنى مثل حاله دون أن يريد زوالها عنه.

١٧٢٩ نَفَحَاتُــهُ مَــلَأَتْ حَــرِيمَ قُلُوبِنَــا غَبَطَــتْ وَهِــيجَ سَــنَائِهَا ثَقَلاهــا[1]
١٧٣٠ وَقَــدِ اطَّلَعْنَــا مِــنْ نَوَافِــذِ قَلْبِنَــا فَــوْقَ الْجِنَــانِ وَحُورِهَــا وَبَهَاهــا
١٧٣١ وَلَقَــدْ لَحَظْنَــا الْخُلْــدَ فِي طَبَقَاتِهَــا عَمَّــتْ نَعِــيمُ سَــعَادَةٍ أَرْجَاهــا
١٧٣٢ قَــدْ أَعْرَضَــتْ نَفْسُ النُّفُوسِ بِعُمْقِنَا عَــنْ فَانِيَــاتٍ فِي بَرَى[2] دُنْيَاهــا
١٧٣٣ وَعَــنْ التَّحَــوُّلِ وَالتَّغَــيُّرِ حَوْلَنَــا وَتَقَلُّبَــاتٍ فِي مَتَــاعِ هَوَاهــا
١٧٣٤ لَــذَّاتِ لا تَــبْقَى وَلَحْظَــةِ مُتْعَــةٍ وَنَعِيمِهَــا الْفَــانِي وَغَــدْرِ هَنَاهــا
١٧٣٥ وَلَقَــدْ عَشِــقْنَا فِي دَهَــالِيزِ الــثَّرَى وَجْــهَ الْمَلِيــكِ وَقُرْبَــةً زُلْفَاهــا
١٧٣٦ طَفَحَــتْ عَلَيْنَــا مِــنْ إِنَاءِ نُبُــوَّةٍ مَــاءُ الْحَيَــاةِ وَخُلْــدِهَا وَبَقَاهــا
١٧٣٧ وَتَفَجَّــرَتْ عَــيْنُ الْحَيَــاةِ بِقَلْبِنَــا وَبِقُــوَّةٍ بِيَــدٍ لَهُــمْ بَيْضَــاها
١٧٣٨ بُرْكَانُ نَارٍ أَمْ سُــيُولُ عَرَمْــرَمٍ[3] هَــدْمُ السُّــدُودِ أَوِ انْهِمَــارُ مِيَاهــا
١٧٣٩ تَفْجِــيرُ ذَرَّةِ وَانْشِــطَارُ نَوَاتِهَــا وَلَهِيــبُ نَارٍ وَانْصِهَــارُ نَوَاهــا
١٧٤٠ عَيْنــاً نُفَجِّــرُ مِــنْ زُلَالِ مِيَاهِهَــا رَوْحــاً وَرَيْحَــاناً وَمِسْــكَ شَــذَاها
١٧٤١ فَالْعَــالَمُونَ يُرَتِّلُــونَ نَشِــيدَهُ بِمِــزَاجِ كَافُــورٍ وَسُــكْرِ غِنَاهــا
١٧٤٢ سَحَــرَتْهُمُ عَــيْنُ الْحَيَــاةِ فَأَصْــبَحُوا يَتَرَنَّمُــونَ بِمَــدْحِهَا وَثَنَاهــا
١٧٤٣ دُهِشُــوا[4] بِقِصَّــةِ خِضْرِهَــا وَمُرِيــدِهِ فَتَنَــتْهُمُ قِصَــصُ الْبَقَــا وَخَفَاهــا
١٧٤٤ وَالْعَــالَمُونَ يُرَدِّدُونَ كَلامَهُــمْ وَبِــدِينِهِمْ وَبِــذِكْرِهِمْ تَتَبَاهَــا
١٧٤٥ وَتَشُــدُّهُمْ بِالْخُلْــدِ حَبْــلُ طُمُــوحِهِمْ وَإِلَى السَّــعَادَةِ شَــوْقُهُمْ لِصَــفَاها
١٧٤٦ فَهُمَــا الدَّعَامَــةُ فِي صَحِيفَــةِ فِطْــرَةٍ وَهُمَــا مِــنَ الْغَــايَاتِ فِي قُصْــوَاها[1]

---

[1] الثقلان: الإنس والجنّ.

[2] البرى: التراب.

[3] العرمرم: الشديد، الجيش الكثير.

[4] دَهِش أو دُهِش: تحيّر أو ذهب عقله من ذهول.

١٧٤٧ وَجَـدُوا السَّـعَادَة وَالْخُلُـودَ بِـنَهْجِهِمْ وَحَـــديثِهِمْ وَالـــدِّينِ مِـــنْ عَلْيَاهـــا

١٧٤٨ وَالنَّـاسُ إِنْ كَانَـتْ مِـرَاسُ[٢] فَلاحِهِـمْ صَـــعُبَتْ وَلكِـــنْ يَنْشُـــدُونَ هُـــدَاها

١٧٤٩ فَهُـمُ الـدَّلِيلُ إِلَى خُلُـودِ ذَوَاتِهِـمْ وَإِلَى مُقِـــيمِ نَعِيمِهَـــا وَمُنَاهـــا

١٧٥٠ وَهُمُ الـدَّلِيلُ إِلَى جِنَـانِ وُجُـودِهِمْ وَإِلَى نُزُوحٍ عَـــنْ حُطَـــامِ لَظَاهـــا

١٧٥١ وَهُمُ الـدَّلِيلُ إِلَى السَّـعَادَةِ فِيهِمَـا فِي عِيشَـــةِ الأُولَى وَفِي أُخْرَاهـــا

١٧٥٢ وَهُمُ الْخَـلاصُ لِمَـنْ رِدَاءِ مَنِيَّـةٍ وَهُمُ الْحَيَـاةُ وَخُلْـدُهَا وَطَرَاهـا[٣]

١٧٥٣ مِيثَـاقُ فِطْـرَتِكُمْ عَـلَى أَرْوَاحِـكُمْ كُتِبَـتْ فَـأُوبُوا[٤] لِانْجِـذَابِ لُقَاهـا

١٧٥٤ فَبِـأَيِّ آلاءٍ تُكَـذِّبُ بَعْـدَهَا وَاللهُ قَـدْ مَـلأَ الـثَّرَى نَعْمَاهـا

١٧٥٥ كَلِمَاتُـهُ مَقْـرُوءَةٌ فِي نَفْسِـكُمْ فَـاقْرَأْ كِتَابَـكَ[٥] وَالْـتَقِطْ فَحْوَاهـا

١٧٥٦ فَـإِذَا دُعِيْـتَ إِلَى مَوَائِـدِ رَحْمَـةٍ بِحُضُـورِ صَـيْقَلِ[٦] أَمْـرِ رُوْحِ جَلاهـا

١٧٥٧ فَـاجْلِسْ عَـلَى أَدَبٍ لِنَيْـلِ ثِمَارِهَـا فَعَسَـى تُفِيـقُ لِمَـنْ سُـبَاتِ كَرَاهـا

١٧٥٨ فَقَـدِ انْجَلَـتْ مِرْآتُنَـا بِخُضُـوعِنَا وَخُشُـوعِنَا فِي الْقُـرْبِ مِـنْ عُرَفَاهـا

١٧٥٩ طَفَحَـتْ عَلَيْنَـا عَـذْبُ مَـاءِ هِدَايَـةٍ مِـنْ كَأْسِهِـمْ وَهُمُ مُلُـوكُ حِبَاهـا[٧]

---

[١] يقول شيخي صادق العنقا قدّس سرّه في كتابه (سرّ البشرية): " هدف كلية المساعي البشرية هو السعادة والبقاء، فهما قانونان أصيلان وفريدان من نوعهما ويضمّان كلية المساعي البشرية من الطفولة حتى الموت ".

[٢] المراس: الشدّة والقوة، ويقال: (صعب المراس) أي صعب المأخذ والمعالجة.

[٣] طراء الغصن أو اللحم: كونه غضاً ليناً.

[٤] أوبوا: ارجعوا.

[٥] إشارة إلى الآية الرابعة عشرة من سورة الإسراء: " اقرَأ كِتابَكَ كَفى بِنَفسِكَ اليَومَ عَلَيكَ حَسيبًا ".

[٦] صقل الشيء: جلاه وملسه وكشف صدأه، والصيقل مبالغة صاقل.

[٧] الحباء: العطيّة.

١٧٦٠ مُحِيَ الْغُبَـارُ لَعَـنْ صَحِيفَـةِ قَلْبِنَـا فَالْكَوْكَـبُ الـدُّرِّيُّ عَـادَ سَـنَاها

١٧٦١ فَقَـدِ امْـتَلَأْنَا مِـنْ مَصَـابِيحِ الْجَـلا وَقَـدِ اسْـتَعَادَتْ دَارُنَا مِشْـكَاها[١]

١٧٦٢ وَقَـدِ اسْـتَزَادَتْ نَفْسُـنَا قُدْسِـيَّةً وَقَـدِ اسْـتَجَابَ مَلِيكُنَـا لِـدُعَاها

١٧٦٣ وَلَقَـدْ شَرِبْنَـا الْخَمْـرَ مِـنْ طَاسَـاتِهِمْ وَلَقَـدْ شَـفَفْنَا الْخَمْـرَ مِـنْ حَسْـنَاها

١٧٦٤ فَخُمَـارُنَا مِـنْ جَـارِيَاتِ حِسَـانِهَا وَغَرَامُنَـا فِي الشَّـجْوِ مِـنْ وَرْقَاهـا[٢]

١٧٦٥ وَالْعَنْـدَلِيبُ عَـلَى غُصُـونِ عُرُوقِنَـا وَلَـفِي شَرَايِـينِ الخَفَـا وَدِمَاهـا

١٧٦٦ تَشْـدُو أَغَـانِي الْحُـبِّ فِي أَنْفَاسِـنَا مَـلَأَتْ مَلِـيحُ غِنَائِهَـا أَرْجَاهـا

١٧٦٧ فَغِنَاؤُهَـا يُرْبِي[٣] الْغَـرَامَ بِقَلْبِنَـا وَقُلُوبُنَـا حَنَّانَـةٌ[٤] لِغِنَاهـا

١٧٦٨ أَوْرَادُنَا بِاللَّيْـلِ تَنْشُـدُ وَصْـلَهَا وَمَنامُنَـا مِـنْ وَصْـلِهَا وَرِضَـاها

١٧٦٩ وَعُيُونُنَـا بِاللَّيْـلِ تَرْقُـبُ فَتْحَـةً تَجْلُـو الْقُلُـوبَ بِنُورِهَـا وَبَهَاهـا

١٧٧٠ وَلَـنَحْنُ مِـنْ جَـذَبَاتِهَا فِي نَشْـوَةٍ وَتَلُـفُّ دُرَّةَ قَلْبِنَـا أَضْـوَاها

١٧٧١ وَلَجَذْبَـةٌ مِنْـهُ[٥] كَمِثْـلِ عِبَـادَةٍ قَامَـتْ بِهَـا فِي دَهْرِهَـا ثَقَلاهـا

١٧٧٢ أَوْ مَـا رَأَيْـتَ عِبَـادَةً فِي قَـدْرِهَا[٦] أَوْ ذُقْـتَ شُهْـدَ حَـلاوَةٍ شَرْوَاهـا

١٧٧٣ أَوْ ذُقْـتَ لَـذَّاتٍ كَمِثْـلِ عِبَـادَةٍ فَرَغَـتْ مِـنَ الأَغْيَـارِ[٧] مِـنْ غُرَبَاهـا

١٧٧٤ فَرَغَـتْ مِـنَ الْثَّقَلَـيْنِ لَحْظَـةَ جُـودِهِ فَرَغَـتْ مِـنَ الْـدَّارَيْنِ وَقْـتَ رُؤَاهـا

---

[١] المشكاة: المصباح.

[٢] وكل هذه حالات الجنان وقربة الزلفى.

[٣] أربي الشيء: جعله يربو أي يزيد وينمو.

[٤] الحنّان: من يحنّ إلى الشيء.

[٥] إشارة إلى الحديث النبوي الشريف: " جذبة من جذبات الرحمن تعادل عبادة الثقلين ".

[٦] في قدرها: في شأنها ومكانتها.

[٧] الأغيار جمع غير، أي العبادة التي فرغت من سوى الله.

١٧٧٥ جَـــذَبَاتُنَا أُمْنِيَّـــةٌ حَنَّـــتْ إِلَيْـــ هَـــــا أَوْلِيَـــــاءُ اللهِ فِي نَجْوَاهَـــــا

١٧٧٦ تَاقَـــتْ إِلَى مِحْرَابِنَـــا جَبَهَـــاتُهُمْ ذَلَّـــتْ عَـــلَى عَتَبَاتِنَـــا عُظَمَاهَـــا

١٧٧٧ نَشَـدُوا خَـلاصَ الـرُّوحِ فِي جَـذَبَاتِهِمْ مِـــنْ سِجْنِهَـــا وَاسْتَسْـــلَمُوا لِبُكَاهَـــا

١٧٧٨ سَـكَبُوا لَهَـا دَمْـعَ العُيُـونِ بِحُرْقَـةٍ مُهْـــرَاقَ[1] دَمْـــعٍ فِي مَـــرِيرِ جَوَاهَـــا

١٧٧٩ عَرَفُـوا الْفَـلاحَ بِنَيْلِهَـا وَقِطَافِهَـا عَرَفُـوا الْوُصُـولَ لَـفِي مَقَـامِ ذُرَاهَـا

١٧٨٠ مَلُّـوا مِـنَ الـدُّنْيَا وَمِـنْ عَادَاتِهَـا نَشَـدُوا الْخُلُـودَ بِجَنَّـتَي مَأْوَاهَـا

١٧٨١ وَلَقَـدْ أَقَـامُوا الْـوَزْنَ لِلأُخْـرَى وَمَـا كَانَـتْ سِـوَاهَا غَـيْرَ زَادِ تُقَاهَـا

١٧٨٢ فَهُـمُ لِعَاقِبَـةِ الْأُمُـورِ مُلُوكُهَـا وَهُمُ سُرَاةُ الخُلْـدِ فِي عُقْبَاهَـا

١٧٨٣ وَتَعَـافُ أَنْفُسُهُـمْ عُجَـالَةَ أَمْرِهَـا وَعُجَـالَةَ اللَّـذَّاتِ فِي فَحْشَـاهَا

١٧٨٤ نَشَـدُوا سَـلامَةَ رُوحِهِـمْ فِي خُلْـدِهِمْ عَـافُوا الْخُـدُوشَ بَـلِ اتّقَـوْا عَـدْوَاهَا[2]

١٧٨٥ وَمِثَـالُهُمْ فِي صِحَّـةٍ بِتُقَـاهُمُ وَمِـنَ الْمَعَـاصِي وَالـذُّنُوبِ ضَـنَاهَا[3]

١٧٨٦ أَبْـدَانُهُمْ مِـنْ نَشْـأَةِ الأُولَى وَعُـدَّ مِثَـالُهُمْ مِـنْ نَشْـأَةٍ أُخْرَاهَـا

١٧٨٧ وَتَحَمَّلُـوا سُـقْمَ الْجُسُـومِ[1] لِكَونِهَـا مِـنْ نَشْـأَةٍ كَانَ الْهَـلاكُ رِدَاهَـا

---

[1] الدمع المهراق: الدمع المسكوب، مِنْ هَرَاقَ يُهَرِيقُ: صبّ، أراق.

[2] أي عافوا الخدوش التي تصاب بها الروح من أثر المعاصي أو أفكار المعاصي، واتقوا عدوى مرض الأرواح وذلك بالاستغفار المستمرّ.

[3] المثال أو الجسم المثالي هو الجسم الثاني الأثيري وهو جسم الإنسان الحقيقي الذي يبقى بعد موت البدن. وهو شفّاف ولا يُرى بالعين وإنما يراه في بعض الأحيان من كانت عنده موهبة الصفاء والشفافية، وهذه الموهبة يمكن تنميتها في الإنسان بواسطة الرياضات الروحية. والبدن ما هو إلا تصوير مادّي منه في هذه النشأة الأولى. وكما يصاب البدن بالجروح والخدوش والمرض وعوارض سوء التغذية والفلج والتشويهات والعاهات، كذلك يُصاب الجسم المثاليّ. والسالك الروحي يقي مثاله هذه الخدوش والجروح والأمراض والعاهات والتشويهات، تماماً كما يقي جسمه الماديّ، بل أكثر وأكثر لأنّ البقاء وسلامة المثال وسعادته هي الأولوية عنده.

١٧٨٨ وَوَقَــوْا نُفُــوسَهُمُ سَــقَامَ مِثَــالِهِمْ مِــنْ نَشْــأَةِ الْأُخْــرَى اللَّطِيــفُ بَرَاهــا
١٧٨٩ فَكَأَنَّمَــا جِسْــمُ الْمِثَــالِ بِجَوْفِنَــا كَأَجِنَّــــةٍ لا بُــــدَّ أَنْ نَرْعَاهــــا
١٧٩٠ عَجَبــاً لِأُمٍّ أَهْمَلَــتْ مَــا قَــدْ نَمَــى فِي رِحْمِهَــــا وَاسْــــتَهْتَرَتْ بِوَفَاهــــا
١٧٩١ عَجَبــاً لِعَــاقِلَةٍ يُرَضُّ جَنِينُهَــا فِي بَطْنِهَــــا وَعَزِيزُهَــــا بِحَشَــــاها
١٧٩٢ وَهِيَ الضَّــحُوكُ هِيَ اللَّعُــوبُ بِغَفْــلَةٍ عَجَبــاً تُضَــــحِّي بِابْنِهَــــا لِهَوَاهــــا
١٧٩٣ عَاشُــوا الأُمُومَــةَ فِي رَفِيــعِ مَقَامِهَــا جَنَّــــاتُ عَــــدْنٍ تَحْتَهَــــا لَوِطَاهَــــا
١٧٩٤ حَفِظُــوا أَجِنَّــةَ خُلْــدِهِمْ فِي هَــالَةٍ حَــــتَّى لَتَبْلُــــغَ رُشْــــدَهَا وَنَمَاهــــا[٢]
١٧٩٥ كَــدَحُوا لِــرَعْيِ صَــفَائِهَا وَجَلائِهَــا حَــــتَّى يُلاقُــــوا فِي جَلاهَــــا اللهَ[٣]
١٧٩٦ فَهِيَ الوَسِــيلَةُ لِلوُصُــولِ لِنَشْــأَةٍ مِــنْ نَوْعِهَــا مِــنْ جِنْسِهَــا شَرْوَاهــا[٤]
١٧٩٧ كَالمَــاءِ يَوْمــاً قَطْــرَةٌ وَغَــدَاتَهَا نَهْــــرٌ وَبَحْــــرٌ تَارَةٌ وَنَــــدَاها
١٧٩٨ بَحْــرُ المُحِــيطِ أَوِ انْهِمَــارُ سُــيُولِهَا يَوْمــــاً وَأُخْــــرَى لُجَّــــةٌ وَمِيَاهــــا
١٧٩٩ يَوْمــاً بِشِــكْلِ جَلِيــدِهَا وَغَــدَاتَهَا مُــزْنُ الْغُيُــومِ لَــفِي سَمَــاءِ عُلاهــا
١٨٠٠ وَرُطُوبَــةٌ يَوْمــاً ضَــبَابٌ تَارَةً وَرَقِيــقُ أَبْخِــرَةٍ بَــدَتْ بِهَوَاهــا
١٨٠١ وَالْكُنْــهُ[١] فِيهَــا مَاؤُهَــا سَــيَّالَةٌ وَالسِّــرُّ فِيهَــا الوَصْــلُ فِي رُجْعَاهــا

---

[١] الجسوم جمع الجسم: البدن.

[٢] الأُمُ الحقيقية من كدّ واجتهد في رعاية جنين مثاله في وجوده حتى يبلغ رشده ونماه ويكتمل الجنين في سلامة كاملة تامّة. وهم المعنيّون باطناً بالحديث الشريف: " الجنّة تحت أقدام الأمهات ".

[٣] إشارة إلى الآية السادسة من سورة الإنشقاق: "يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ".

[٤] الشروى: المثل.

١٨٠٢ فَهِمُوا الْحَقِيقَةَ وَالأُمُورَ جَلِيَّةً كُشِفَتْ عَنِ الْحَدَقَاتِ سُمْكُ غِشَاها

١٨٠٣ وَرَأَوْا لَفِي هَالاتِهَا أَسْرَارَهَا وَجَدُوا لَفِي أَسْرَارِهَا مَنْجَاها

١٨٠٤ نَفَذُوا مِنَ الجِسْمِ السَّمِيكِ بِكَدْحِهِمْ نَفَذُوا إِلى لُطْفِ الصَّدَى وَرُؤَاها

١٨٠٥ وَهُوَ اللّطِيفُ وَهُمْ هُمُ فِي لُطْفِهِ سَبَحُوا عَشِيَّةَ لَيْلِهِمْ وَضُحَاها

١٨٠٦ رَأَوُا اللَّطَائِفَ وَانْجَلَتْ أَسْرَارُهَا كُشِفَ الْحِجَابُ بَلِ اسْتَرَقَّ[٢] غِطَاها

١٨٠٧ فَهُمُ أَحَنُّ عَلَى جَنِينِ مِثَالِهِمْ مِنْ أُمِّهِمْ بِجَنِينِهَا بِحَشَاها

١٨٠٨ وَهُمُ أَحَاطُوا بِانْفِتَاحِ بَصِيرَةٍ بِخُلُودِ عَيْشِ مِثَالِهِمْ وَبَقَاها

١٨٠٩ رَأَوُا الْمِثَالَ لَفِي رِيَاضَةِ لَيْلِهِمْ وَجِهَادِ سَهْرٍ فِي خُلُوصِ دُعَاها

١٨١٠ وَسُهَادِ عِشْقٍ بِانْقِيَادِ عِنَانِهِمْ[٣] وَطَهُورِ ذِكْرٍ فِي خُشُوعِ صَلاها

١٨١١ وَخُمَارِ حُبٍّ فِي لِقَاءِ مُهَيْمِنٍ فِي رُؤْيَةٍ[٤] وَوِصَالِهَا وَلُقَاها

١٨١٢ وَمَلِيحِ صَوْتٍ مِنْ مَلائِكَةِ السَّمَا طَرِبَتْ لَهَا آذَانُنَا ثَمْلاها

١٨١٣ وَرَقِيقِ لَحْنٍ مِنْ بَلابِلِ جَنَّةٍ دَوَّتْ لَفِي أَعْمَاقِنَا أَصْدَاها

١٨١٤ فَقَدِ اقْشَعَرَّتْ جِلْدُنَا مِنْ لَحْنِهَا أَصْدَتْ[٥] لَهَا أَوْتَارُ مُوسِيقَاها

١٨١٥ فَرُؤُوسُنَا ثَمْلَى لِمَنْ أَلْحَانِهَا وَقُلُوبُنَا خَفَّاقَةٌ لِجَوَاها

١٨١٦ يَا رَوْعَهَا هَزَّتْ جَمِيعَ كِيَانِنَا وَتَلاطَمَتْ كَالمَوْجِ لُجُّ[٦] دِمَاها

---

[١] كنه الشيء: جوهره وحقيقته وأصله وقدره وغايته، أي أن الماء هو الكنه ويكون بشكل قطرة ونهر وبحر ومحيط وسيل ولُجّة وجليد وسحاب ورطوبة وضباب وبخار وغيرها، فالأشكال تختلف أما الكنه فواحد.

[٢] استرق: صار رقيقاً.

[٣] العنان: اللجام. وانقياد العنان هو عبارة عن التسليم.

[٤] إشارة إلى كلام الإمام عليّ عليه السلام: "رأيته فعرفته فعبدته".

[٥] أصدى الجبل: أجاب بالصدى، أي أنّ أوتار موسيقى الجلد أجابت بالصدى.

[٦] لُجّ جمع لُجّة: معظم الماء.

١٨١٧ زَخَـرَتْ[١] بِحَـارُ وُجُـودِنَا فِي رَهْبَـةٍ عَصَـفَتْ زَوَابِـعُ رَعْـدِهَا بِسَـمَاها

١٨١٨ دَبَّـتْ بَرِيـقُ الْـبَرْقِ وَهْـوَ مُكَهْـرَبٌ[٢] عَمَّـتْ عَمِيـقَ كِيَانِنَـا بِسَـنَاها

١٨١٩ سَـالَتْ عُـرَامُ[٣] سُـيُولِهَا بِعُرُوقِنَـا نَبَضَـتْ شَرَايِـينٌ بِعِشْـقِ تُقَاهـا

١٨٢٠ ضَـاعَتْ خِيَـالُ وُجُـودِنَا فِي لَـيْلَةٍ يَا رَوْعَ مِـنْ دَيْجُورِهَـا[٤] وَضِـيَاها

١٨٢١ ضَـاعَ الـ (أَنَا) وَتَحَطَّمَـتْ خَرِبَاتُـهُ كُسِـرَ الـ (أَنَا) فِي جَذْبَـةٍ كَإِنَاهـا[٥]

١٨٢٢ وَمِثَـالُ جِسْـمٍ[٦] عَمَّ مَغْنَاطِيسُهَـا جِسْـمَ الْمَعَـاشِ[٧] لَـفِي بَرَى[٨] دُنْيَاهـا

١٨٢٣ قَامَـتْ قَـوَامُ العَقْـلِ مِـنْ طَاقَاتِهَـا نَبَعَـتْ لِمَنْهَـا حَوْلُهَـا وَقُوَاهـا[٩]

١٨٢٤ وَلِمَـنْ يُجَمِّـعُ شَمْـلَ جِسْـمِ مِثَـالِهِ أَثَرٌ مُحَـالٌ مِنْـكَ أَنْ تَنْسَـاها

١٨٢٥ أَثَرٌ عَظِـيمٌ فِي الطَّبِيعَـةِ حَـوْلَهُ بَـلْ نَافِـذٌ عِـبْرَ الزَّمَـانِ مَـدَاها[١٠]

---

[١] زخر البحر: طمى وتملا.

[٢] كَهْرَب الشيء: جعل فيه القوة الكهربائية.

[٣] عرام السيل: كثرته وحدّته.

[٤] الديجور: الظلام.

[٥] (أنا) هو محوريّة الذات والامبراطورية التي بنيناها عن أنفسنا، وضياعه في جذبة رحمانية هو تعبير عن الفناء كفناء القطرة في البحر، وهذا يعادل عبادة الثقلين.

[٦] جسم المثال هو الجسم النوراني أو الهالة التي حولك، وتلمع أكثر بعد غسل البدن بالماء.

[٧] جسم المعاش: البدن.

[٨] برى: تراب.

[٩] القوى العقلية تجد انبعاثها من الجسم المثالي، وقوام العقل هو عبارة عن بنيانه الجميل الرشيق المتزن.

[١٠] الرياضات الروحية هي في الحقيقة عمليّة تجميع شمل المثال، فإذا تحقّق الجمع كان له أثر كبير ليس على البيئة التي تحيط به مباشرة فحسب، بل ينفذ أثره عبر الزمان. وخلود أولئك الذين يمارسونها، وتأثيرهم على الأمم أكبر دليل على ذلك. والأمثال على ذلك كثيرة، كالأنبياء

١٨٢٦ طَاقَاتُنَـــا مِنْهَـــا سَرَتْ فِي صَحْـــوِنَا حَاجَاتُنَـــــا وَغَـــــرَائِزٌ وَلَبَاهـــــا[١]

١٨٢٧ وَالنَّـــوْمُ صِـــنْوُ مَنِيَّـــةٍ[٢] وَفِرَاقُهَـــا مِـــنْ جِسْـــمِ صَـــاحِبِهَا سَـــوَادَ دُجَاهـــا[٣]

١٨٢٨ آيَاتُ هَيْمَنَـــةِ الْمِثَـــالِ وَحَوْلِهَـــا وَنُفُوذِهَـــــا فِي صَحْوِهَـــــا وَكَرَاهـــــا

١٨٢٩ بَـــلْ جِسْـــمُنَا دُونَ المِثَـــالِ لَمَيِّـــتٌ آثَارُهَـــــا مِـــــنْ دُونِهَـــــا أَصْـــــدَاها

١٨٣٠ بَـــلْ جِسْـــمُنَا لِلـــرُّوحِ مِثْـــلُ مَطِيَّـــةٍ وَطَـــــراً عَـــــلَى هـــــذَا الْمَمَـــــرِّ قَضَـــــاها

١٨٣١ فَـــانْظُرْ إِلَى فَـــرْقِ المَنَـــامِ وَيَقْظَـــةٍ سَـــــتَرَى لِمَغْنَاطِيسِهَـــــا وَمْضَـــــاها[٤]

١٨٣٢ سَـتَرَى بِعَيْنِـكَ كَيْـفَ حَـالُ جُسُـومِنَا بِفِـــرَاقِ جِسْـــمِ مِثَالِنَـــا وَنَوَاهـــا[٥]

١٨٣٣ بَـلْ أَنْـتَ تَنْظُـرُ مِـنْ مِثَالِـكَ بِالْكَـرَى بَـــلْ أَنْـــتَ فِيهَـــا نَشْـــأَةٌ أُخْرَاهـــا

١٨٣٤ وَرُفَاتُ جِسْمِكَ قَدْ سَجَتْ[٦] بِفِرَاشِهَا صَمَّاؤُهَـــــا عَمْيَاؤُهَـــــا بَكْمَاهـــــا

١٨٣٥ بَـلْ أَنْـتَ رُوحُـكَ لا رُفَاتُـكَ يَا فَـتَى بَـــلْ أَنْـــتَ بَاقٍ لا رُفَـــاتُ بِلاهـــا[٧]

١٨٣٦ وَلِمَـنْ عَمِلْـتَ طِـوَالَ عُمْـرِكَ يَا فَـتَى لِرُفَـــاتِ مَيْـــتٍ أَمْ لِـــرُوحِ بَقَاهـــا

١٨٣٧ فَـالرُّوحُ طِفْـلٌ فِي حِيَاطَـةِ[١] أُمِّـهِ بِصِـــيَانَةٍ وَتَعَهُّـــدٍ لِنَمَاهـــا[٢]

وأولياء الله الصالحين، الذين بقت آثارهم في القلوب إلى الأبد، من أمثال إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين.

[١] الباه: القوة الجنسية.

[٢] إشارة إلى الحديث النبوي: "النوم أخو الموت".

[٣] النوم هو مفارقة المثال جسم صاحبها بشكل مؤقت، وإلى هذا تشير الآية الستون من سورة الأنعام: " وَهُوَ الَّذي يَتَوَفّاكُمْ بِاللَّيلِ وَيَعلَمُ ما جَرَحتُم بِالنَّهارِ ثُمَّ يَبعَثُكُمْ فيهِ لِيُقضى أَجَلٌ مُسَمًّى ". فالنوم هو الوفاة المؤقتة ويتمّ البعث بعد ذلك وهو اليقظة من النوم.

[٤] سترى طلوع مغناطيس المثال بعينك عندما يقوم أحد من نومه، وسترى غروبها بعينك عندما يموت أحد.

[٥] النوى: البعد.

[٦] سجى: سكن.

[٧] بَلِيَ الثوب بِلَى: خلق ورثّ.

١٨٣٨ رُشْـــدُ الْمِثَـــالِ نِيَاطُـــهُ بِرِعَايَـــةٍ[٣] وَبِصَـــوْنِ صِحَّتِهَـــا لَمِـــنْ أَدْوَاهَـــا[٤]

١٨٣٩ وَعِـــلاجِ أَمْـــرَاضٍ وَعِـــلَّةِ أَنْفُـــسٍ وَتَعَهُّـــــدٍ بِشِـــــفَائِهَا وَدَوَاهـــــا

١٨٤٠ وَتَطَهُّـــرٍ مِـــنْ مُوجِبَـــاتِ هَلاكِهَـــا وَتَعَفُّـــــفٍ عَمَّـــا يَشُـــوبُ صَـــفَاها

١٨٤١ وَخُلُـــوِّ بِيئَتِهَـــا وَطُهْـــرِ مُنَاخِهَـــا مِـــنْ بَالِيَـــاتِ[٥] أَبَالِـــسٍ[٦] وَدُنَاهـــا[٧]

١٨٤٢ وقيامهـــا في بيئـــة قدســـيّة مـــن أوليـــاء الله قـــدس غـــذاها[٨]

١٨٤٣ وَتَشِـــفُّ فِي يَـــدَيِ الْـــوَلِيِّ خِمَارُهَـــا وَتَرِقُّ مِثْـــلَ الْمَـــاءِ صَـــفْوُ جَلاهـــا

١٨٤٤ وَتَشُـــبُّ جَـــذْوَةُ[٩] نَارِهَـــا بِغَـــرَامِهِمْ وَيَزِيـــــدُ دِفْءُ حَنِينِهَـــــا لِلِقَاهـــــا

١٨٤٥ وَتَطِـــيرُ فِي أُفُـــقِ الْمِثَـــالِ حَمَامَـــةٌ[١٠] رَمْـــزُ السَّـــلامِ عَـــلَى بِسَـــاطِ فَضَـــاها

١٨٤٦ غَطَّـــتْ سَمَـــاءَ الْأَرْضِ لَـــوْنُ بَيَاضِهَـــا فَبَيَاضُهَـــــا بِيَـــــدٍ لَهُ بَيْضَـــــاها

١٨٤٧ وَنَسِـــيمُ عِشْـــقِ وَلِيِّـــهِ[١١] وَغَرَامِـــهِ فِي طَبْعِهَـــــا وَخُمَارِهَـــــا وَهَوَاهـــــا

١٨٤٨ وَالـــرَّاحُ فِي رَأْسِ الْحَمَامَـــةِ وَالْهَـــوَى حَمَـــلَ الْـــوَلِيُّ كُؤُوسَهَـــا فَسَـــقَاها

---

[١] الحياطة: الحفظ والصيانة والتعهّد.

[٢] النماء: الرشد والزيادة أي أن الروح مثله كمثل الطفل يحتاج إلى حفظ ورعاية تامة حتى ينمو ويبلغ رشده وكماله.

[٣] أي رشد المثال منوط بالرعاية التامة للمثال وحفظه.

[٤] الأدواء جمع الداء: المرض والعلّة.

[٥] باليات جمع بالٍ: الرثّ.

[٦] أباليس: جمع إبليس.

[٧] دُنَى جمع دنيا، أي طُهر مُناخ المثال من مصاحبة الشياطين من أهل الدنيا ولزوم مصاحبته لأولياء الله.

[٨] أي أن غذاءها المقدس يتأتى من مصاحبة أولياء الله.

[٩] الجذوة: الجمرة الملتهبة.

[١٠] تعبير عن المريد الحق.

[١١] أي وليّ الله وأنّ عشقه وحبّه انعكس في طبع الحمامة فهي دائماً في خمار وهوى.

١٨٤٩ وَلِبَاسُهَـــا بُرْدَا غَـــرَامِ العَاشِـــقِينَ وَنَهْجِهَـــا فِي السِّـــلْمِ فِي إِفْشَـــاها[١]

١٨٥٠ آيَاتُ تَرْبِيَـــةِ الْـــوَلِيِّ وَعِشْـــقِهِ وَفَنَائِـــهِ فِي اللهِ حَـــقَّ فَنَاهـــا

١٨٥١ وَيَبِـــينُ وَجْـــهٌ إِسْتَشَـــفَّ خِمَـــارُهُ حَقّـــاً جَـــلالُ اللهِ قَـــدْ سَجَّاهـــا[٢]

١٨٥٢ يَا رَوْعَ مِـنْ حُسْـنٍ تَخَمَّـرَ[٣] فِي حَيـاً وَجَـــلالُ رَبِّ الْعَـــرْشِ حَـــقُّ غِطَاهـــا

١٨٥٣ فَجَمَالُهَـــا أَسَرَتْ شَـــغَافَ قُلُوبِنَـــا فَرُؤُوسُـــنَا مِـــنْ حُسْـــنِهَا ثَمْلاهـــا

١٨٥٤ وَخِمَارُهَـــا مُنْزَاحَـــةٌ لِمَحَـــارِمٍ جَنَّـــاتُ عَـــدْنٍ فِي حَـــرِيمِ وِطَاهـــا

١٨٥٥ ولِأَهْـلِ لاهُـوتِ السَّـمَاءِ وَنَشْـأَةٍ خَرَجَـتْ مِـنَ النَّاسُـوتِ[٤] عِـبْرَ فَضَـاها[٥]

١٨٥٦ وَخِمَارُهَـــا بِيَـــدِ الْجَـــلالِ لِحِكْمَـــةٍ سِـــتْرُ الْحِجَـــابِ لَعَـــنْ رُؤَى غُرَبَاهـــا[٦]

١٨٥٧ وَتَسَـــتُّرٌ عَـــنْ غَـــيْرِ أَهْـــلِ طَرِيقَـــةٍ وَتَحَجُّـــبٌ عَـــنْ نَشْـــأَةٍ سُـــفْلاها

١٨٥٨ تِلْـــكُمْ بَرَاقِـــعُ غَيْـــبِ دَارِ سَـــعَادَةٍ عَـــنْ عَـــيْنِ مَـــنْ سَـــلْكُوا سُرَى فَحْشَـــاها

١٨٥٩ ذَاكَ النَّصِـيفُ سِـتَارُ شَمْـسِ غُيُوبِهَـا عَـــنْ أَعْـــيُنٍ فِي جَهْلِهَـــا عَمْيَاهـــا

١٨٦٠ وَسَمَـــتْ سُرَادِقُ عِزِّهَـــا فِي عَـــالَمٍ حُجِبَـــتْ عَـــنِ النَّاسُـــوتِ عِـــزٌّ بَهَاهَـــا

١٨٦١ فَجَـــلاءُ بُرْقُعِهَـــا بِهِمَّـــةِ مُرْشِـــدٍ يُـــوحِي إِلَـــيْهِمْ[١] بُكْـــرَةً وَعِشَـــاها

---

[١] أي أن لباس الحمامة أو المريد عبارة عن بُردين وهما الغرام والسلام.

[٢] قد مدّ الخمار على هذا الوجه.

[٣] تخمّرت المرأة بالخمار: لبسته.

[٤] الناسوت: الطبيعة (الإنسانية).

[٥] أي أن الحقيقة محجوبة عن أسراء الطبع ولا تزيح الحقيقة خمارها إلا لمن خرج من سجن الطبع واقلولَى رفيعاً في سماء الملكوت والجبروت واللاهوت في حريّة عن أغلال نفسه ومحوريّة نفسه وطبعه.

[٦] الغرباء هم أسراء الطبع والطبيعة والغريزة، بل أسراء الدنيا بكل مفاهيمها السفليّة، فهم غرباء عن الحقيقة المطلقة ولا مجال لهم للإطّلاع عليها. " وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ " (القرآن الكريم، سورة فصلت، الآية ٥).

١٨٦٢ طُـوبَى لِمَـنْ فَـازُوا بِعَـيْنِ رِعَايَـةٍ لِـوَلِيِّ عَصْـرِهِمُ إِمَـامِ تُقَاهـا
١٨٦٣ مِـنْ شَـيْخِ أَرْكَانِ السَّـمَاءِ وَعَرْشِـهِ وَدَلِـيلِهِمْ بِطَرِيـقِ سَـبْعِ سَمَاهـا
١٨٦٤ وَلِمَـنْ حَبَـاهُ اللهُ نِعْمَـةَ نَظْـرَةٍ بَعَـثَ الإِمَـامَ لِزَقِّـهِ[٢] نُعْمَاهـا[٣][٤]
١٨٦٥ وَلِمَـنْ حَبَـاهُ اللهُ دُرَّ كَلامِـهِ سِـيقُوا كَمَـا فِي سُـورَةِ شُـورَا هـا[٥]
١٨٦٦ فَلِبَعْضِهِـمْ وَحْيـاً تَـنَزَّلَ بِالـثَّرَى جِبْرِيـلُ مِـنْ عَـرْشِ السَّـمَا آتاهـا
١٨٦٧ وَلِبَعْضِهِـمْ أَوْ مِـنْ وَرَاءِ حِجَابِـهِ ظَهَـرَ الْـكَلامُ كَمَـا عَـلَى مُوسَـاها[٦]
١٨٦٨ وَالـبَعْضُ قَـدْ بَعَـثَ الإِلهُ رَسُـولَهُ فَبِإِذْنِـهِ أَوْحَى بِمَـا أَوْحَاهـا
١٨٦٩ أَوْحَى الرَّسُـولُ بِمَـا يَشَـاءُ رَسُـولُهُ وَبِإِذْنِ رَبِّ الْعَـرْشِ مِـنْ حُسْـنَاها[٧]
١٨٧٠ وَاللهُ يَبْعَـثُ لِلْفَـتَى بِرَسُـولِهِ وَرَسُـولُهُ يُـوحِي لَهُ مَـا شَـاهَا
١٨٧١ لِلهِ دَرُّ الـوَحْيِ مِـنْ رُسُـلِ السَّـمَا أَوْحَـوْا فَـكَانَ كَلامَ رَبِّ وَرَاهـا

---

[١] أي يوحي إلى صفوة مريديه. وهذا الوحي هو كلام الله تعالى في قوله عز وجل في سورة الشورى ٥١: " وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّـهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ". فهو يوحي بإذن الله ما يشاء، وهو عين كلام الله.

[٢] زقّ الطائر فرخه: أطعمه بمنقاره.

[٣] النُّعمى: اليد البيضاء الصالحة.

[٤] ولمن حباه الله نعمة النظر إليه بعث إليه الإمام ووليّ العصر لتعليمه وتربيته من الصدر إلى الصدر.

[٥] بيّن الله سبحانه وتعالى في سورة الشورى الآية ٥١ كيف يكلّم البشر إذا أراد ذلك: " وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّـهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ".

[٦] تكلّم الله إلى موسى (ع) من الشجرة المحترقة.

[٧] والطريقة الثالثة تتحقّق بوحي الرسول إلى مريده بما يشاء الرسول وبإذن الله جل وعلا، فوحي الرسول هو كلام الله إلى عبده.

١٨٧٢ فَـــكَلامُ رَبِّ الْعَـــالَمِينَ إِلَى الْفَـــتَى مِـــنْ وَحْيِ مُرْسَـــلِهِ لِقَلْـــبِ فَتَاهـــا

١٨٧٣ طُـــوبَى لَهُ وَلَجَ القُلُـــوبَ وَغَـــاصَ فِي مِيثَـــاقِ فِطْرَتِـــهِ بِعُمْـــقِ خَفَاهـــا

١٨٧٤ كُسِـــرَتْ قُلُـــوبُهُمُ فَـــذَابَ مَكَانُهُـــمْ وَزَمَـــانُهُمْ وَسِـــعَتْ هُنَـــاكَ اللهَ[١]

١٨٧٥ فَسَـــمَاؤُهُ وَالأَرْضُ لا يَسَـــعَانِهِ لكِنَّـــهُ بِقُلُـــوبِهِم طُوبَاهَـــا

١٨٧٦ وَسِعَتْ[٢] فَحَطَّمَتِ السُّدُودَ فَزَالَ مِنْ نَقْـــشِ الْوُجُـــودِ سَمَاؤُهَـــا وَثَرَاهـــا

١٨٧٧ بَـلْ زَالَ مِـنْ نَقْـشِ الوُجُـودِ شُمُوسُهَـا وَكَوَاكِـــبٌ بَـــلْ قُبَّـــةٌ زَرْقَاهـــا

١٨٧٨ وَيَزُولُ مِـــنْ نَقْـــشِ الْوُجُـــودِ مَكَانُهَـــا وَزَمَانُهَـــا وَبَـــدَتْ عُجَـــابُ فَنَاهـــا

١٨٧٩ وَتَوَقَّـــفَ الـــدَّوَّارُ عَـــنْ دَوَرَانِـــهِ فَلَـــكٌ تَوَقَّـــفَ دَوْرُهَـــا وَرَحَاهـــا

١٨٨٠ خَرَجُـوا عَـلَى ظَهْـرِ الْـبُرَاقِ وَحَـوْلَهُمْ نُـــورٌ يُرَدِّيهِـــمْ[٣] بَهَـــاءَ رِدَاهـــا

١٨٨١ فِي لَمْحَـــةٍ مِـــنْ طَرْفَـــةٍ طَـــيَرَانُهُمْ وَعُـــرُوجُ هَـــالَةِ جِسْـــمِهِمْ بِزُهَاهـــا

١٨٨٢ وَرَأَى الْمِثَـالُ لِمَـنْ بَسَـاتِينِ الْعُـلَى مَـــا لا عُيُـــونٌ فِي السُّـــجُونِ[٤] تَرَاهـــا

١٨٨٣ وَهُنَـــاكَ شُـــعْثٌ غُـــبَّرٌ بِأَرَائِـــكٍ وَهُمُ الْمُلُـــوكُ عَـــلَى عُـــرُوشِ عُلاهـــا[٥]

١٨٨٤ وَحُفَـــاةُ أَقْـــدَامٍ بِظِـــلِّ سُرَادِقٍ دَاسُـــوا بِأَقْـــدَامِ عَـــلَى عَلْيَاهـــا

١٨٨٥ وَبِأَخْمَـصِ الْقَـدَمَيْنِ دَاسُـوا أَنْجُمـاً وَالْفَرْقَـــدَيْنِ[٦] عَـــلَى قُـــلَى شِـــعْرَاها[٧]

١٨٨٦ وَتَرَى هُنَـــاكَ الْحَـــاسِرِينَ رُؤُوسَهُـــمْ دَنَّـــوْا ظِلاَلَهُـــمُ عَـــلَى جَوْزَاهـــا[١]

---

[١] إشارة إلى الحديث القدسي: "لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن المنكسر"، أي وسعت قلوبهم الله.

[٢] أي وسعت قلوب المؤمنين المنكسرة.

[٣] رداه: ألبسه الرداء.

[٤] أي في سجون المادة.

[٥] إشارة إلى الحديث النبوي الشريف: " رُبَّ أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبَرّه ".

[٦] الفرقدان: نجمان في الشمال يُهتدى بهما.

[٧] الشعري: الكوكب الذي يطلع في الجوزاء وطلوعه في شدّة الحرّ.

١٨٨٧ وَلَقَـــدْ أَظَلُّـــوا وَاسْـــتَظَلّ بِظِلّهِـــمْ مَلَـــكُ الإِلهِ مَـــنِ اجْتَـــبَى فُقَرَاهـــا
١٨٨٨ وَ (الْفَقْـرُ فَخْـرِي)[٢] رَمْـزُهُمْ وَشِـعَارُهُمْ وَمُحَمّـــدٌ فِي الصَّـــدْرِ أَعْظَـــمُ جَاهَـــا
١٨٨٩ وَمِـنَ الْكُـؤُوسِ الفَـاخِرَاتِ شَرَابُهُـمْ وَعَـــلَى قَـــوَارِيرٍ ظِـــمىً وَرِوَاهـــا
١٨٩٠ وَأَرَائِـــكٌ تُضْـــفِي الْجَـــلالَ عَلَـــيْهِمُ بَـــلْ هُمْ جَـــلالُ أَرَائِـــكٍ وَبَهَاهـــا
١٨٩١ وَدُهُـــورُهُمْ فِيهَـــا زُهُـــورُ رَبِيعِهَـــا وَالزَّمْهَـــرِيرُ[٣] وَشَمْسُهَـــا جَارَاهـــا[٤]
١٨٩٢ بَرَدَتْ حَـــرَارَةُ شَمْسِهِـــمْ فَكَأَنَّمَـــا لَطُفَـــتْ أَشِـــعَّتُهَا بِمُـــزْنِ سَمَاهـــا
١٨٩٣ وَالزَّمْهَـــرِيرُ تَسَـــخَّنتْ بِحَـــرَارَةٍ ذَابَ الْجَلِيـــدُ بَـــلِ اخْـــتَفَى مَرْآهـــا
١٨٩٤ نَبَتَـتْ عَـلَى أَرْضِ الجَلِيـدِ زُهُورُهَـا فَـاحَ[٥] الرَّبِيـعُ بَـلِ انْتَشَـتْ[٦] أَنْشَـاها[٧]
١٨٩٥ مَـا خِلْـتُ فِيهَـا شَـكْوَةٌ مِـنْ لَذْعَـةٍ مِـــنْ حَـــرِّ شَمْـــسٍ أَوْ جَلِيـــدِ هَوَاهـــا
١٨٩٦ وَالْجَـارِيَاتُ عَـلَى شَـفَا جُـرُفٍ بِهَـا مَسَّـتْ شَـفَا جُـرُفِ الْفُـرَاتِ[٨] شِـفَاها
١٨٩٧ سِـــيقَانُهَا فِي لُجَّـــةٍ شَـــفَّافَةٍ رَقَّـــتْ وَشَـــفَّتْ فِي الفُـــرَاتِ كِلاهـــا
١٨٩٨ فَجَمَالُهَـــا مَـــلأَ الفُـــرَاتَ نُعُومَـــةٌ وَغَـــزَا بِرِقَّتِـــهِ لِجَـــاجَ مِيَاهـــا
١٨٩٩ وَصَـفَاءُ مَـاءِ زُلالِهَـا أَضْـفَتْ عَـلَى حُسْـــنِ الْجَمَـــالِ تَمَوّجـــاً وَصَـــفَاها
١٩٠٠ فَغَـدَا الثُّنَـائِيُّ اللَّطِيـفُ كَوَاحِـدِ مَـــاءٌ زُلالٌ أَمْ فَتَـــاةُ صِـــبَاها

---

[١] الجوزاء: برج في السماء.

[٢] (الفقر فخري) من جوامع الكلم لنبيّنا محمد (صلوات الله عليه وآله).

[٣] الزمهرير: شدّة البرد.

[٤] جوار الشمس مع الزمهرير بحيث إن أحدهما يخفّف من شدّة الآخر ينتج عنه اعتدال الربيع ، فكأنّما هما مسخران لخلق الربيع الخالد الباقي.

[٥] أي انتشرت رائحته.

[٦] انتشى: سكر.

[٧] الأنشاء جمع النَّشَا: نسيم الريح الطيبة.

[٨] شفا: الجانب. والجُرُف: الجانب الذي أكله الماء من حاشية النهر/ والفرات هو النهر.

١٩٠١ وَالنَّهْرُ يَجْرِي تَحْتَ أَقْدَامِ لَهُمْ وَخَرِيرُهُ طَرِبَتْ لَهُ أُذُنَاهَا

١٩٠٢ وَمِنَ الْجَوَارِي أَلْفُ أَلْفُ رَشِيقَةٍ خَدَمَتْهُمُ فِي لَيْلِهَا وَضُحَاهَا

١٩٠٣ فَسَقَتْهُمُ الْغِزْلانُ[١] حَرَّ نَبِيذِهِ فَقَدُوا بِذَاكُمْ وَعْيَهَا وَجِجَاهَا

١٩٠٤ وَتَطَايَرَتْ مِنْ رَأْسِهِمْ لَبَبُ[٢] الْحِجَى[٣] وَالْكُفْرُ وَالإِيمَانُ إِثْرَ قَفَاهَا

١٩٠٥ سَمِعُوا نِدَاءً هَزَّ أُسَّ[٤] كِيَانِهِمْ وَتَزَلْزَلَتْ أَعْمَاقُهُمْ بِنِدَاها

١٩٠٦ بُرْكَانُهَا ثَارَتْ بِصُلْبِ عِظَامِهِمْ حَتَّى النُّخَاعُ[٥] تَكَهْرَبَتْ بِقُوَاهَا

١٩٠٧ دَخَلَتْ شَرَايِينَ الْحَيَاةِ بِقُوَّةٍ حَتَّى الْعُرُوقُ تَزَلْزَلَتْ بِصَدَاها

١٩٠٨ تَنُّورُ[٦] صَوْتٍ فَارَ فِي طُوفَانِهِ حِتَّى الْوَرِيدُ غَلَى لَفِي أَصْدَاها

١٩٠٩ جَاءَ النِّدَاءُ مُدَوِّياً وَمُزَمْجِراً مِنْ عُمْقِ فِطْرَتِهِ وَمِنْ أَعْضَاها

١٩١٠ أَللهُ رَبٌّ لا وُجُودَ لِغَيْرِهِ أَحَداً وَفَرْداً وَاحِداً أَللهَ

١٩١١ إِكْسِيرُ خُلْدٍ فِي شَرَابِ مَحَبَّةٍ وَفَنَاءُ غَيْرٍ[٧] فِي بُحُورِ بَقَاهَا

١٩١٢ وَعُيُونُ عِشْقٍ فِي رَحِيقِ سُلُوكِنَا وَعَظِيمُ مَنْزِلَةٍ وَرِفْعَةُ جَاهَا

١٩١٣ فَإِذَا وَصَلْنَاهُ فَلا نَبْغِي الْوَرَى وَإِذَا اتَّصَلْنَا تَفْتَقِدْنَا وَرَاهَا

١٩١٤ فُرُشٌ رُفِعْنَا فَوْقَهَا فَعُيُونُنَا نَحْوَ السَّمَاءِ وَلَيْسَ نَحْوَ ثَرَاهَا

١٩١٥ وَنَعِفُّ عَنْ بُسُطِ الرِّيَاحِ لِغَيْرِنَا[١] وَلِأَوْلِيَاءِ اللهِ عَنْ إِسْرَاهَا

---

[١] الغزلان: كناية عن الجواري.

[٢] لَبِبَ لَبَباً: صار لبيباً أي عاقلاً.

[٣] الحجى: العقل.

[٤] الأُسّ: الأساس.

[٥] النخاع: عَرْق أبيض في داخل العنق يمتدّ في فقار الصلب إلى العصعص أو عَجْبِ الذَّنَب.

[٦] كما جاء في القرآن الكريم: " وَفارَ التَّنّورُ " (سورة هود، الآية ٤٠).

[٧] يعني غير الله.

١٩١٦ وَبِسَاطُ رِيحٍ مِنْ سُلَيْمَانِ الْحِجَى وَطِئَتْهُ أَقْدَامٌ لَنَا بِدُجَاها
١٩١٧ وَنَصِيبُنَا فِي الْأَرْضِ بَيْتُ وَلِيِّهِ وَغُدُوُّنَا وَرَوَاحُنَا بِفِنَاها
١٩١٨ إِسْرَاؤُنَا لِإِلَى مَقَامِ مُحَمَّدٍ وَلِأَنْبِيَاءِ اللهِ فِي أَقْصَاها[٢]
١٩١٩ وَقُلُوبُنَا بِأَحِبَّةٍ مِنْ يَثْرِبٍ رُبِطَتْ إِلى يَوْمِ النُّشُورِ عُرَاها
١٩٢٠ مِنْ عِتْرَةٍ مِنْ آلِ أَحْمَدَ إِنَّهُمْ شَوْقِي وَعِشْقِي وَالْهَوَى وَغِنَاها
١٩٢١ فَبِهِمْ خُمَارِي فِي غَرَامِ مُحَمَّدٍ وَرِسَالَةٍ أَهْدَتْ لَنَا تَقْوَاها
١٩٢٢ مِنْ عِتْرَةٍ عَلَوِيَّةٍ مِنْ آلِهِ مِنْ كَوْثَرٍ[٣] لِمُحَمَّدٍ أَعْطَاها
١٩٢٣ وَلِفَاطِمٍ فِي الْعَالَمِينَ مَكَانَةٌ غَبَطَتْ عَلَيْهَا مَرْيَمٌ عَذْرَاها
١٩٢٤ سَارَا وَهَاجَرُ وَالخَدِيجَةُ أُمُّهَا وَمِنَ الكِنَانَةِ فَخْرُهَا آسَاهَا[٤]
١٩٢٥ فَاقَتْ نِسَاءَ الْعَالَمِينَ بِعِلْمِهَا وَبِعِصْمَةٍ وَبِزُهْدِهَا وَتُقَاها
١٩٢٦ مَعْصُومَةٌ سَادَتْ نِسَاءَ عَوَالِمٍ[١] وَرِضَا النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ بِرِضَاها

---

[١] الرّياضات الروحيّة التي تنتج منها آثار مغناطيسية كبيرة تؤثّر في البيئة والطبيعة وتغّيرهما، إذا مارسناها لأجل هذه الآثار المغناطيسية العظيمة يتحقَّق عند ذلك ما نسمية الكرامات والمعجزات. وبساط الريح الذي سُخر لسليمان (ع) ما هو إلا واحدة من هذه الكرامات والمعجزات. أما إذا مارسناها لأجل الوصول إلى الله سبحانه وتعالى ووجّهنا العملية كلها نحو الله وهو ما نسمّيه بالسير والسلوك، عففنا عن الكرامات وَبُسُطِ الرياح وتوجّهت عيوننا نحو السماء وليس نحو الثرى. وللعرفاء بعض الأقوال في هذا الموضوع منها: (أصحاب الكرامات كلهم محجوبون)، ومنها قول الشيخ أبي القاسم النصرابادي: (الراغب في العطاء لا مقدار له والراغب في المُعْطي عزيز).

[٢] أي المسجد الأقصى.

[٣] الكوثر تسمية فاطمة بنت الرسول (صلوات الله عليه وآله) في الآية الكريمة: "إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ".

(٤) هي آسيا زوجة فرعون التي ذُكرت في الآية الحادية عشرة من سورة التحريم الآية ١١: " إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ".

١٩٢٧ بِأَبِي وَأُمّي بُغْضُـــهُ مِـــنْ بُغْضِهَـــا وَقِـــلاهُ[٢] مِـــنْ إِيلامِهَـــا وَقِلاهـــا

١٩٢٨ أُمُّ الْأَئِمَّـــةِ مِـــنْ مُبَـــارَكِ دَوْحَـــةٍ ذُكِـــرَتْ لَـــفِي الـــذِّكْرِ الْحَكِـــيمِ ثَنَاهـــا

١٩٢٩ أَلأَصْـــلُ مِنْهَـــا ثَابِـــتٌ كَـــرَوَاسِي وَالْفَـــرْعُ مِنْهَـــا فِي سَمَـــاءِ عُلاهـــا

١٩٣٠ مَـــلَأَتْ ثَرَاهَـــا عِـــتْرَةٌ نَبَوِيَّـــةٌ خَسَـــأَتْ[٣] عُيُـــونُ الشَّـــانِئِينَ لِطـــهَ[٤]

١٩٣١ يَا رَوْعَ كَـــوْثَرَ أَجْـــرُ دِينِ مُحَمَّـــدٍ مِـــنْ رَبِّـــهِ نِعْـــمَ الجَـــزَا وَعَطَاهـــا

١٩٣٢ أَيْنَ الأُلَى بَلَغُـــوا المُـــنَى مِـــنْ كَـــوْثَرٍ أَيْنَ الأُلَى دَانُـــــوا بِـــــدِينِ وِلاهـــا

١٩٣٣ فَـــوِلاؤُهُمْ دِيـــنِي وَحَـــقُّ طَـــرِيقَتِي وَالزَّنْجَبِيـــــلُ وَكَأْسُهَـــــا لَجَزَاهـــا

١٩٣٤ وَمَـــوَدَّةُ القُـــرْبَى مَدَامَـــةُ حَـــالَتِي وَنَعِـــيمُ عِشْـــقِي فِي عُـــرَى قُرْبَاهـــا

١٩٣٥ وَأَنَا الْغَرِيـــقُ بِحَـــوْضِ خَمْـــرِ شَرَابِهِـــمْ وَمَدَامَـــةٍ سَـــكِرَتْ بِهَـــا عُرَفَاهـــا

١٩٣٦ وَصَـــلاتُنَا وَزَكَاتُنَـــا وَصِـــيَامُنَا وَالْحَـــجُّ فِي عِشْـــقِي لِأَهْـــلِ كِسَـــاها

١٩٣٧ فَهُـــمُ رِفَـــاقُ صَـــبَابَتِي وَطُفُـــولَتِي وَهُمُ رِفَـــاقُ حُضُـــورِنَا بِسَـــمَاها

١٩٣٨ وَهُمُ رِفَـــاقُ الْعَـــرْشِ فِي لاهُوتِـــهِ وَبِعَرْشِـــهِ بِثْنَـــا مَعـــاً بِعُرَاهـــا

١٩٣٩ سُرُرٌ قَضَـــيْنَا دَهْـــرَنَا فِي رَحْبِهَـــا مُتَقَـــابِلِينَ عَـــلَى دِهَـــاقِ صَـــفَاها

١٩٤٠ مُتَقَـــابِلِينَ عَـــلَى مَوَائِـــدِ جَنَّـــةٍ كَأْســـاً دِهَاقـــاً[٥] فِي غُنَـــاجِ[٦] ظِبَاهـــا

١٩٤١ مُتَقَـــابِلِينَ عَـــلَى سَرَائِرِ[١] عِصْـــمَةٍ سُرُرِ الْمُلُـــــوكِ سَرَائِرٍ بَيْضَـــــاها

---

[١] قال سيدنا محمد (صلوات الله عليه وآله): "فاطمة سيدة نساء العالمين"، وقال (صلوات الله عليه وآله): "فاطمة بضعةٌ منّي من آذاها فقد آذاني ومن آلمها فقد آلمني".

[٢] قلاه: أبغضه/ القِلَى: البغض.

[٣] خسأ البصر: كَلّ وأعيا.

[٤] كما في القرآن الكريم في سورة الكوثر: "إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ".

[٥] كأسُ دهاقُ: أي طافحة.

[٦] الغناج: الدلال.

١٩٤٢ مُتَهَامِسِينَ بِسِرِّ مُلْكٍ قَائِمٍ مُتَدَاعِبِينَ بِجَهْلِ أَهْلِ عَمَاهَا

١٩٤٣ مُسْتَأْنِسِينَ بِصُحْبَةٍ فِي رَبِّهِمْ وَمَزِيدِ جُودٍ وَانْهِمَارِ سَخَاهَا

١٩٤٤ فَكَلامُهُمْ دُرَرُ البَرَايَا فِي خَفاً خُبِئَتْ عَنِ الأَنْظَارِ فِي مَخْبَاهَا

١٩٤٥ وَمَصُونَةٌ فِي لُجِّ بَحْرٍ زَاخِرٍ عَنْ أَعْيُنٍ فِي غَفْلَةٍ بِخَفَاهَا

١٩٤٦ وَلآلِئٌ نَالَتْ حِيَازَتَهَا الأُلى رَكِبُوا فُنُونَ الغَوْصِ فِي غَوْرَاهَا[٢]

١٩٤٧ مُتَقَابِلِينَ عَلَى أَوَانِي فِضَّةٍ بِيَدِ الْكَوَاعِبِ فِي رِدَا خُيَلاهَا

١٩٤٨ طَافَتْ طَوَافاً بِالكُؤُوسِ عَلَيهِمُ وَمِنَ الدَّلالِ وَغُنْجِهَا وَغِنَاهَا

١٩٤٩ وَالفَاتِنَاتُ السَّالِبَاتُ لِبَابَنَا مَلأَتْ حَدَائِقَ جَنَّتَيْ مَأْوَاهَا

١٩٥٠ وَكَوَاعِبٌ عُرُبٌ غَضِيضٌ[٣] نَبْتُهَا وَنَوَاعِمٌ وَغَضَائِضٌ[٤] غُلْوَاهَا[٥]

١٩٥١ وَحَمَلْنَ أَكْوَاباً إِلَى فِتْيَانِنَا يَمْشُنَّ فِي نُضْجِ التُّقَى وَحَيَاهَا

١٩٥٢ وَتَخَالُ رَبَّاتِ الحِجَالِ[٦] حَيِيَّةً أَسْرَابُهُنَّ عَلَى رُبَى فَيْحَاهَا

١٩٥٣ وَنَعِيشُ فِي أَمْنِ البَقَاءِ وَحِصْنِهِ وَخُلُودِ عَيْشِ حَدَائِقٍ غَنَّاهَا

١٩٥٤ وَمُقِيمِ نِعْمَةِ رَبِّنَا فِي خُلْدِهَا وَدَوَامِ رَاحَتِنَا عَلَى نَعْمَاهَا

١٩٥٥ وَالخَوْفُ مِنْ زَوَلانِهَا وَلَّى مَعاً فَلَنَحْنُ مِنْ عِزِّ الأَمَانِ رِوَاهَا

١٩٥٦ وَلَقَدْ تَرَكْنَا فَانِيَاتِ نَعِيمِهَا وَبَقِيَّتُ اللهِ[٧] اقْتَبَسْنَا هُدَاهَا

---

[١] السرائر جمع السريرة: النيّة ، يقال: (هو طيّب السريرة) ، أي سليم القلب صافي النيّة.

[٢] الغورى: القعر من كل شيء.

[٣] الغضيض: الطري

[٤] غضائض جمع غَضِيضَة: الطري.

[٥] الغلواء: نشاط الشباب.

[٦] الحجال جمع حَجَلَة: بيت يُزَيَّن للعروس.

[٧] بقية الله هو ما يبقى ويدوم في الخلود، والإمام فُرقانُها وميزانها، وإشارة إلى الآية الكريمة: " بَقِيَّتُ اللَّـهِ خَيرٌ لَكُم إِن كُنتُم مُؤمِنينَ " (سورة هود ، الآية ٨٥).

١٩٥٧ أَيْنَ الأُلَى عَنْ كَنْزِنَا سَأَلُوا فَهَلْ مِنْ سَائِلٍ مِنْ كَنْزِنَا يُعْطَاهَا

١٩٥٨ أَيْنَ الأُلَى نَشَدُوا فُنُونَ طَرِيقِنَا فَطَرِيقُنَا بِفُنُونِهَا رَيَّاهَا

١٩٥٩ أَيْنَ الأُلَى بَحَثُوا حَقِيقَةَ نَفْسِهِمْ قَدْ نَقَّبُوا[١] فِيهَا عُيُونَ بَقَاهَا

١٩٦٠ أَيْنَ الأُلَى قَدْ جَاهَدُوا فِي رَبِّهِمْ وَمِنَ اللَّيَالِي سَبَّحُوا آنَاهَا[٢]

١٩٦١ أَيْنَ الأُلَى نَشَدُوا بِبَكَّةَ ضَالَّةَ[٣] فِي حِكْمَةٍ وَفُنُونِهَا وَطَرَاهَا[٤]

١٩٦٢ أَيْنَ الأُلَى نَشَدُوا رَسُولاً مِنْهُمُ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَهَا تَتْرَاهَا[٥][٦]

١٩٦٣ يُوحِي إِلَيهِمْ عِلْمَ تَزْكِيَةٍ بِهَا فَعَسَى تَزَكَّوْا مِنْ جَحِيمٍ لَظَاهَا

١٩٦٤ وَعَسَى تَزَحْزَحَ مَيْلُهُمْ لِدَنِيَّةٍ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فِي طَرِيقِ سَمَاهَا

١٩٦٥ أَيْنَ الأُلَى نَشَدُوا نَعِيماً دَائِماً مَلُّوا نَعِيمَ زَوَالِهَا وَفَنَاهَا

١٩٦٦ أَيْنَ الأُلَى نَشَدُوا أَسِرَّةَ سُؤْدُدٍ فِي جَنَّةِ الخُلْدِ الْمُقِيمُ هَنَاهَا

١٩٦٧ مُتَقَابِلِينَ عَلَى أَرَائِكِ عِزَّةٍ فَقَدِ اتَّكَوا فِيهَا بِثَوبِ بَهَاهَا

١٩٦٨ يَتَهَامَسُونَ وَحَوْلَهُمْ أَزْوَاجُهُمْ فِي مَضْجَعٍ أَلَّهُ قَدْ حَابَاهَا

١٩٦٩ مَكْنُونَةٌ أَسْرَارُهُمْ بِصُدُورِهِمْ يَتَهَامَسُونَ بِهَا بِحَجْلِ[٧] خِبَاهَا[٨]

١٩٧٠ غَطَسُوا لَفِي لَذَّاتِ مَضْجَعِ حُبِّهِمْ وَتَجَرَّدُوا مِنْ شَهْوَةٍ وَهَوَاهَا

---

[١] أي بالغوا في البحث عنها.

[٢] آناء الليل: ساعاته.

[٣] أي الضالة، كما في الحديث الشريف: "الحكمة ضالة المؤمن".

[٤] طَرُوَ طَرَاءً: كان غضاً ليناً.

[٥] تترى: متتابعة.

[٦] إشارة إلى الآية الثانية من سورة الجمعة: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ".

[٧] الحَجَلْ: بيت يُزَيَّن للعروس.

[٨] الخباء: ما يعمل من وبر للسكن.

١٩٧١ أَيْنَ السَّعَادَةُ مِنْ لَذَائِذِ شَهْوَةٍ أَيْنَ الثُّرَيّا مِنْ وَطِيءِ ثَرَاها

١٩٧٢ أَيْنَ السَّمواتُ العُلَى مِنْ أَرْضِهِ أَيْنَ النُّجُومُ لِمَنْ وَضِيعِ حَصَاها

١٩٧٣ أَيْنَ اللآلِيءُ مِنْ طَحَالِبِ شَاطِئٍ أَيْنَ الزَّبَرْجَدُ مِنْ حَشَايِشِ دَاهَا

١٩٧٤ سُرُرٌ عَلَيْهَا إِتَّكَوْا مَوْضُونَةٌ[١] مَنْسُوجَةٌ بِالتِّبْرِ فِي صَفْرَاها

١٩٧٥ مَنْسُوجَةٌ بِجَوَاهِرٍ وَلآلِيءٍ وَمِنَ اليَوَاقِيتِ السَّنَا لَأْلاها[٢]

١٩٧٦ فِي رَفْرَفٍ خُضْرٍ[٣] لَيَانٌ[٤] ظُهُورِهِمْ وَنَعِيمُ عَيْشٍ وَانْبِسَاطُ رَخَاها

١٩٧٧ فِي عَبْقَرِيٍّ[٥] دَاعَبَتْ أَقْدَامَهُمْ حَسُنَتْ مَنَاظِرُهَا وَطَابَ وِطَاها

١٩٧٨ بَرَّاقَةٌ قَدْ دَغْدَغَتْ[٦] أَبْصَارَهُمْ قُزَحٌ جَمِيلٌ لَوْنُهَا وَزُهَاها

١٩٧٩ أَلْبَابُهُمْ مَسْحُورَةٌ بِجَمَالِهَا وَزُهَائِهَا وَبَرِيقِهَا وَأَيَاهَا

١٩٨٠ بَهَرَتْهُمُ أَلْوَانُ قَوْسٍ فِي السَّمَا وَظِلالُهَا وَمَزِيجُ مِنْ أَفْيَاها[٧]

١٩٨١ فِي عَبْقَرِيٍّ جَلَّ شَأْنُ وِطَائِهِمْ وَطِئَتْهُ أَقْدَامُ الهُدَى وَتُقَاها

١٩٨٢ فَكَأَنَّمَا مِنْ تَحْتِهِمْ بَانَتْ لَهُمْ شَفَقُ الطُّلُوعِ بِسِحْرِ طَيْفِ[٨] سَمَاهَا[٩]

---

[١] موضونة: منسوجة بالجواهر.

[٢] لألاء السراج: ضوؤه.

[٣] كما في الآية السادسة والسبعين من سورة الرحمن: "مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ". الرفرف : الوسادة .

[٤] ليان: ضد الخشونة.

[٥] العبقري: ضرب من البسط الفاخرة.

[٦] الدغدغة: تجميش في مواضع من البدن.

[٧] أفياء جمع فيء: الظل.

[٨] الطيف: صورة تحدث عن مرور الضوء الأبيض في موشور فينحلّ إلى أنوار بسيطة ملوّنة هي حسب ترتيبها في الطيف: الأحمر، البرتقالي، الأصفر، الأخضر، الأزرق، النيلي، البنفسجي.

[٩] تشبيه ألوان العبقري بألوان قوس قزح.

١٩٨٣ نِعْمَ الزُّهَاءِ تَحَوَّلَتْ مِنْ أُفْقِهَا وَإِلَى مَوَاطِي[١] الرِّجْلِ مِنْ عُرَفَاهَا

١٩٨٤ وَتَلِينُ أَظْهُرُهُمْ بِخُضْرٍ رَفْرَفٍ وَهُمُ عَلَى سُرُرِ الْبَهَا وَذُرَاهَا

١٩٨٥ عَالِيهُمُ أَثْوَابُ خُضْرٍ سُنْدُسٍ وَعَلَتْهُمُ إِسْتَبْرَقٌ وَرِدَاهَا[٢]

١٩٨٦ حُلُّوا أَسَاوِرَ فِضَّةٍ وَزَبَرْجَدٍ وَلَآلِيءٍ وَالدُّرِّ فِي بَيْضَاهَا

١٩٨٧ وَسَقَاهُمُ رَبُّ العِبَادَ شَرَابَهُ طُهُرَ الشَّرَابِ لَفِي صَفَا سُقْيَاهَا

١٩٨٨ حُورٌ حِسَانٌ فِي مَوَاكِبِ نُورِهِمْ بِحِدَاقِهِنَّ[٣] سَنَى التُّقَى وَحَيَاهَا

١٩٨٩ وَعُيُونُهَا جُنَّتْ بِهَا أَلْبَابُنَا وَسَوَادُ عَيْنٍ بَلْ سِهَامُ سُوَاهَا[٤]

١٩٩٠ مِنْ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ فِي مَقْصُورَةٍ خَلَبَتْ لُبَابَ عُقُولِنَا بِخِبَاهَا

١٩٩١ وَالْعِينُ[٥] مِنْ حُورِ الجِنَانِ تَحَيَّرَتْ مِنْهَا القُلُوبُ لِحُسْنِهَا وبَهَاهَا

١٩٩٢ نَفَذَتْ سِهَامُ الْعِشْقِ مِنْ لحَظَاتِهَا وَسَرَتْ كَبَرْقِ الْغَيْمِ فِي ظَلْمَاهَا

١٩٩٣ وَقَدِ ادْلَهَمَّتْ[٦] نَفْسُنَا مِنْ حُزْنِهَا ثُمَّ اسْتَنَارَتْ مِنْ بَرِيقِ ضِيَاهَا

١٩٩٤ وَلَقَدْ بَدَا جُرْحٌ بِنَبْلِ سِهَامِهَا وَمَكَانَ ذَاكَ الجُرْحِ بَرْقُ سَنَاهَا

١٩٩٥ فَكَأَنَّمَا قَلْبِي وَبَرْقُ عُيُونِهَا كَوَمِيضِ نَجْمٍ إِذْ هَوَى بِهُوَاهَا[٧]

١٩٩٦ يَا لَيْتَ قَوْمِي أَدْرَكُوا وَقْتَ السُّرَى رَكْبَ الخُلُودِ وَصَاحَبُوا حَدَّاهَا[١]

---

[١] أي مواطيء الرجل.

[٢] إشارة إلى الآية الواحدة والعشرين من سورة الإنسان: "عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا".

[٣] حداق جمع حدقة: سواد العين الأعظم.

[٤] السوى: الوسط أي وسط سواد العين.

[٥] لباب: خالص. والعين هنّ الحور العين كما ذكر في القرآن الكريم سورة الواقعة الآيتين ٢٢ و ٢٣ : "وَحُورٌ عِينٌ *كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ".

[٦] ادْلَهَمَّ الليل: اشتدّ سواده.

[٧] هُوّى جمع هُوَّة: الوهدة الغامضة من الأرض.

١٩٩٧ يَا لَيْتَهُمْ مَا ضَيَّعُوا آثارَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ فِي لَيْلِ سَيْرِ سُرَاهَا

١٩٩٨ فَسُرَاهُمُ كَنْزُ السُّلُوكِ وَقَصْدُهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ فِي جِوَارِ إِلهَا

١٩٩٩ جَنَّاتُ رَبِّي إِنَّهَا قَصْدُ الْأُلَى هَجَرُوا الْمُنَى[٢] فَاسْتَبْدَلُوا بِعُلاهَا

٢٠٠٠ قَدْ جَاوَرُوا زُمَرَ النَّبِيِّينَ الأُلَى قَدْ أُلْبِسُوا فِيهَا بَهَا[٣] زُلْفَاهَا

٢٠٠١ جِيرَانُهُمْ فِي جَنَّةِ الْمَأْوَى هُمُ نَالُوا شَفَاعَتَهُمْ لَفِي دُنْيَاهَا

٢٠٠٢ فِي جَنْبِهِمْ حُشِرُوا وَفِي فُسْطَاطِهِمْ جَلَسُوا إِلَى يَوْمِ الهُدَى وَلِقَاهَا[٤]

٢٠٠٣ وَمَقَامُهُمْ فِي الجَنَّتَيْنِ لِخَشْيَةٍ مِنْهُمْ مَقَامَ اللهِ فِي أُولاهَا[٥]

٢٠٠٤ أَفْنَانُهَا[٦] مِثْلُ النُّجُومِ لِكَثْرَةٍ يَتَنَعَّمُونَ لَفِي فُنُونِ رَخَاهَا

٢٠٠٥ وَمِنَ الْعُيُونِ الْجَارِيَاتِ عُيُونُهُمْ تَمْلَى وَنَفْسُهُمُ بِهَا رَيَّاهَا

٢٠٠٦ وَمِنَ الفَوَاكِهِ فِي صُنُوفِ مَذَاقِهَا دَانٍ قُطُوفُ صُنُوفِهَا وَجَنَاهَا[٧]

٢٠٠٧ وَهُمُ عَلَى سُرُرٍ بَطَائِنُهَا حَوَتْ إِسْتَبْرَقاً وَمِنَ الْحَرِيرِ غِطَاهَا

٢٠٠٨ وَمِنَ اليَوَاقِيتِ السَّنَاءِ وَلُؤْلُؤٍ وَصِغَارِ مَرْجَانِ البِحَارِ حُلاهَا

٢٠٠٩ يَاقُوتُهَا شَفَّافَةٌ مِنْ عَرْشِهِ مَرْجَانُهَا مِنْ يَمِّ جُودِ عَطَاهَا

٢٠١٠ دُرَرٌ وَأَحْجَارٌ نَوَادِرُ جُودِهِ وَلآلِئُ الأَصْدَافِ مِنْ غَوْرَاهَا[١]

---

[١] الحدّاء مبالغة في الحادي وهو الذي يسوق الإبل ويتغنى لها.

[٢] أي هجروا طول الآمال.

[٣] أي بهاء الزلفى.

[٤] أي أنّ شفاعتهم تُقطف ثمارها في الدنيا وهم في الدنيا بجنبهم وفي فسطاطهم إلى يوم يتلقّون هداهم ويلقون الله ويصلون إليه ويتّصلون به سبحانه وتعالى.

[٥] إشارة إلى الآية السادسة والأربعين من سورة الرحمن: " وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ".

[٦] أفنانها: يعني أنواع الجنة.

[٧] إشارة إلى الآية الرابعة والخمسين من سورة الرحمن: "مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ".

٢٠١١ إِسْتَبْرَقٌ وَمِنَ الْحَرِيرِ وَسُنْدُسٍ مِنْ عَرْشِ رَبٍّ وَاهِبٍ نَعْمَاهَا

٢٠١٢ دِيبَاجُهَا مِنْ بَطْنِ جُودِ بِطَانَةٍ مِنْ سِتْرِ عَرْشِ رَبُّنَا أَوْلاهَا

٢٠١٣ وَتَقِيُّ إِبْنُ حُسَيْنِ مِنْ آلِ النَّبِي مِنْ نَسْلِ مُوسَى[٢] مِنْ سُلَالَةِ طهَ

٢٠١٤ نَظَمَ الْكَلَامَ الْحَيَّ فَوْقَ صَحَائِفٍ لِيَكُونَ نِبْرَاساً عَلَى ظَلْمَاهَا

٢٠١٥ وَلِكَيْ يُفِيدَ عَلَى الطَّرِيقِ مُرِيدَهُ وَلِيَبْعَثَ الأَزْمَانَ مِنْ مَوْتَاهَا

٢٠١٦ وَلِتَغْرِفَ الْأَجْيَالُ مِنْ نَفَحَاتِهِ زُمَراً إِلَى اللهِ الْعَزِيزِ جِبَاهَا

٢٠١٧ وَاللهِ لَوْ رَجُلٌ هَدَاهُ اللهُ بِي لَأَحَبُّ عِنْدِي مِنْ كُنُوزِ دُنَاهَا

٢٠١٨ رُوحِي عَلَى دَرْبِ الخُلُودِ سَعِيدَةٌ بِجِوَارِ رَبِّي حَيَّةً بِتُقَاهَا[٣]

---

[١] من غوراها: يعني من قاع البحار.

[٢] هو الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب وابن فاطمة بنت محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين.

[٣] من كتابي السموات السبع، فصل: عالم الله

يا نفس صلي إلى جوهرك اللطيف

يا نفسُ ! أسرعي في تزكية النفس من الذنوب والآثام حتى تصلي إلى جوهرك اللطيف الشفّاف، وإلى تجانسك بعالم الله. لا بد أن تصلي إلى جوار الله عز وجل في هذه الدنيا كي تنعمي بجوار الله في الآخرة وفي دار الخلود.

يا نفسُ ! أنت الصراط بين جهنم البعد وجنة اللقاء. تبدئين طريقك على هذا الصراط وأنت بعيدة كل البعد عن الله عز وجل، ثم بعد السير والسلوك، وبعد جهد جهيد أو بعد الجهاد الأكبر مع النفس بعد معرفتها، تصلين إلى جنة اللقاء أو جوار الله سبحانه وتعالى. تنظرين إلى هذا الجانب من الصراط وترين عالم المادة والجوهر الكثيف، وتنظرين إلى الجانب الآخر وترين عالم الله والجوهر اللطيف.

وقد ذكرنا تفاصيل هذا الصراط في الفصل التالي تحت عنوان (الإنسان هو الصراط بين جهنم البعد وجنة اللقاء) من كتابي قدوة الفقهاء والعارفين.

الإنسان هو الصراط بين جهنم البعد وجنة اللقاء

يا نفسُ ! نعم هذا ما يفعله العشق والوله بالإنسان المحبّ العاشق ! وأنت التي لم تعرفي العشق الحقيقي، ولم تعلمي شيئًا عن معبودك، وتعبدين غيره في الليالي والأيام، وعلى الرغم من ذلك تريدين معرفته معرفة تامة !

هيهات هيهات !!! ففي الطريق إلى بيت ليلى تكمن الأخطار، وشرط الخطوة الأولى في هذا الطريق المحفوف بالأشواك أن تكوني مجنونة[1] ! فالإنسان يتدرّج في مراتب الإنسانية، ويصعد ويعرج إلى أن يصل إلى المقام، الذي يكون فيه الإنسان ذلك الفرد الأكمل الإنساني الذي يقال في حقه: " لولاك لما خلقت الأفلاك "، ويقول جبرائيل عليه السلام مقرًّا معترفًا بعجزه[2] أمام عظمته ومقامه المنيع: " لو دنوت أنملة لاحترقت ".

يا نفسُ ! افرضي الإنسان على الصراط، فمن بقي في أية مرتبة على الصراط، فهو مبتلى بجهنم البعد عن الله، إلا إذا تجاوز مراتب الإنسانية وصراط عالم الوجود، ومن ثم يدخل جنة اللقاء، وذلك هو الفوز العظيم !!!

والسبب في أن الإنسان هو الصراط، هو سير الإنسان في مراتب الوجود الإمكاني، ففي مرحلة ما يكون الإنسان قوة صرفة، كما جاء في قوله تعالى في سورة الإنسان الآية ١: ﴿

---

[1] فانظر ماذا يقول مجنون ليلى:

مررت على الديار ديار ليلى أقبّل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حبّ الديار شغفن قلبي ولكن حبّ من سكن الديارا

وانظر ماذا يقول لسان حال السيد حسين العالم قدس سره في أبيات من نظمي:

ديار العشق حفّت بالبلايا زيارتها لمجنون تباح

وفي خدر الخباء وصال ليلى لمجنون مباح مستباح

[2] فطاووس الملائكة جبرائيل عجز عن تخطّي سدرة المنتهى.

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾، وبعدها يتحوّل إلى الصورة العنصرية بالقدرة الإلهية الكاملة.

ثم يستمرّ في سيره في أطوار الوجود، فهو أحيانًا حشيش الأرض وأحيانًا النبات، وأحيانًا فاكهة الأشجار يأكلها الإنسان والحيوان، ثم يذبح الإنسان الحيوان ويأكل من لحمه وغير ذلك، ثم يجعل الله بحكمته البالغة محبّة بين المرأة وزوجها، ثم تجمعهما الشهوة على مائدة الجماع.

ومن تأثير الأطعمة والأشربة المختلفة، التي يتناولها الإنسان، تتولّد النطفة، التي يسّر الله لها قوة الدفع من الآلة الرجولية، وقوة الجذب في رحم المرأة، حتى تجذب إلى نفسها نطفة الرجل، كي تمتزج مع مني المرأة[1]، ثم يستقرّ اللقاح في رحم المرأة، ويلتصق بالرحم التصاق الخميرة في التنور، ثم تبدأ عملية خلق الجنين، وتمنع يد القدرة الإلهية اللقاح الملتصق على جدار الرحم من الانهيار في دم الحيض، وتهب النطفة الفاقدة للشعور قوة تجذب بها الدم بواسطة العروق، حتى تظهر عليها النقط الدموية، وتتحوّل إلى علقة، ثم تزداد حمرتها، وتظهر أكثر فأكثر، حتى تصبح شبيهة بالمضغة[2] .

---

[1] بويضة المرأة.

[2] من كتابي قدوة الفقهاء والعارفين.

الصراط أشدّ من السيف وأدقّ من الشعرة

يا نفسُ ! الصراط أشدّ من السيف وأدقّ من الشعرة ، فاجتازي الصراط بعد أن تتطهّري من كل الشوائب المشوّهة في عالمك الخلقي، فإن أي ثقل من الهوى أو حب الدنيا يعطيك الثقل على الصراط، ويقطعك كالسيف، وأن أي وزن ووزر من أوزار الذنوب والآثام لا يثبت على الشعرة.

يا نفسُ ! أنت الصراط بين جهنم البعد عن الله وجنّة القرب من الله زلفى، واجتيازك عليه يعتمد على خفّة جوهرك اللطيف وغياب جوهرك الكثيف. فخففوا عنكم الأوزار، واعملوا على صقل الجوهر حتى يرجع لطيفًا خفيفًا خفّة الهواء، وتختفي أوزار (أنا) الناسوتي كاختفاء الصاروخ الثقيل في أعماق السماء في لمحة بصر[1] .

يا نفسُ ! إن الفلاح يجبّ الذنوب الثقال والأوزار والأغلال. وإذا نلت الفلاح فكأنك قد ولدت من جديد مبرّأة من كل الذنوب والآثام. فكما أن الصاروخ بثقله العظيم، يختفي في لمحة بصر في بطن السماء، بسبب سرعة انطلاقه، كذلك أوزار الذنوب تختفي في لمحة بصر من صفحة وجودك، بسبب سرعة رجوعك إلى أصلك.

يا نفسُ ! تهذّبي من أوساخ الطبيعة وأوزارها المبطّئة، بسرعة الرجوع إلى أصلك وعالمك العلويّ القدسي.

يا نفسُ ! إن سرعة رجوعك إلى أصلك وعالمك العلويّ لا يتأتّى إلا بالعشق الإلهي. ولا يبعدك عن العشق الإلهي إلا حبّ الدنيا، فإن حبّ الدنيا رأس كل خطيئة. فإذا قطع الرأس اختفت الخطايا وذاب جليد الذنوب العظام.

---

[1] أعتقد أن الكثيرين رأوا الصواريخ الثقيلة وزنًا وهي تنطلق بقوّة ثم تختفي في أعماق السماء بسرعة فائقة.

يا نفسُ ! أسرعي إلى عشق الله قبل أن يسرع إليك المنايا، فإن الموت هو نهاية الفرص الذهبية في هذه الدنيا القصيرة عمرًا والسريعة زوالًا. فلا تظني أن عمرك يدوم، وانظري إلى أعمار غيرك واعتبري بنهايتها أمام أعينك، واسألي نفسك هل يدوم العمر على هذه الأرض ؟

أو كما عبّرت في كتابي (السموات السبع):

١٧١١ وَصِرَاطُنَا[١] كَالسَّيْفِ تَقْطَعُ عَابِراً إِنْ كَانَ فِي قِطْمِيرِ[٢] ثِقْلِ هَوَاهَا

١٧١٢ وَكَشَعْرَةٍ ضَاعَ التَّعَادُلُ فَوْقَهَا إِلّا بِخِفَّةِ طُهْرِ رُوحِ هُدَاها

١٧١٣ وَلَعَمْرُكُمْ ثَقُلَتْ مَوَازِينٌ بِمَا عَمِلُوا بِعِرْفَانِ التُّقَى وَجَلاها

[١] الصراط أشدّ من السيف وأدقّ من الشعرة.

[٢] القطمير: القشرة الرقيقة بين النواة والتمرة. يعني حتى إن كان في شيء قليل من ثقل الهوى وحب النفس.

الدنيا كالحيّة ملمسها ناعم باطنها سمّ زعاف

يا نفسُ ! خفّفي عنك الأوزار، واعملي على صقل الجوهر حتى يرجع لطيفًا خفيفًا خفّة الهواء، وتختفي أوزار (أنا) الناسوتي كاختفاء الصاروخ الثقيل في أعماق السماء في لمحة بصر.

يا نفسُ ! هذا الـ (أنا) الناسوتي أو الدنيا ما هو إلا سراب، فلا تغرّنّك أوهام السراب. وانظري ماذا يقول الناسك من كتابي (بوذا ونور الملكوت):

قَالَ (الناسك): أَمَّا خَبَرِي فَإِنِّي كُنْتُ سَمِعْتُ كَلِمَةً فِي حَدَاثَةِ سِنِّي وَقَعَتْ فِي قَلْبِي، فَصَارَتْ كَالْحَبَّةِ الْمَزْرُوعَةِ، ثُمَّ لَمْ تَزَلْ تَنْمِي[1] حَتَّى صَارَتْ شَجَرَةً إِلَى مَا تَرَى، وَ ذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ قَدْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: يَحْسَبُ الْجَاهِلُ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ لَا شَيْءَ (الدنيا) شَيْئاً، وَ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ الشَّيْءُ (الآخرة) لَا شَيْءَ، وَ مَنْ لَمْ يَرْفَضِ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ لَا شَيْءَ (الدنيا)، لَمْ يَنَلِ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ الشَّيْءُ (الآخرة)، وَ مَنْ لَمْ يُبْصِرِ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ الشَّيْءُ (الآخرة) لَمْ تَطِبْ نَفْسُهُ بِرَفْضِ الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ لَا شَيْءَ (الدنيا)، وَ الشَّيْءُ هُوَ الْآخِرَةُ وَ اللَّاشَيْء هُوَ الدُّنْيَا.

فَكَانَ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ عِنْدِي قَرَارٌ، لِأَنِّي وَجَدْتُ الدُّنْيَا حَيَاتَهَا مَوْتاً، وَ غَنَاهَا فَقْراً، وَ فَرَحَهَا تَرَحاً، وَ صِحَّتَهَا سُقْماً، وَ قُوَّتَهَا ضَعْفاً، وَ عِزَّهَا ذُلًّا. وَ كَيْفَ لَا تَكُونُ حَيَاتُهَا مَوْتاً وَ إِنَّمَا يَحْيَا فِيهَا صَاحِبُهَا لِيَمُوتَ، وَ هُوَ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى يَقِينٍ وَ مِنَ الْحَيَاةِ عَلَى قُلْعَةٍ[2] !

وَ كَيْفَ لَا يَكُونُ غَنَاؤُهَا فَقْراً وَ لَيْسَ يُصِيبُ أَحَدٌ مِنْهَا شَيْئاً إِلَّا احْتَاجَ لِذَلِكَ الشَّيْءِ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ يُصْلِحُهُ وَ إِلَى أَشْيَاءَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْهَا. وَ مِثْلُ ذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ رُبَّمَا

---

[1] تنمي أي تزيد وتكثر.

[2] على قلعة = في رحلة = لا نملكه ولا نثبت فيه.

يَحْتَاجُ إِلَى دَابَّةٍ، فَإِذَا أَصَابَهَا احْتَاجَ إِلَى عَلَفِهَا وَ قَيِّمِهَا وَ مَرْبَطِهَا[1] وَ أَدَوَاتِهَا، ثُمَّ احْتَاجَ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ يُصْلِحُهُ وَ إِلَى أَشْيَاءَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْهَا، فَمَتَى تَنْقَضِي حَاجَةُ مَنْ هُوَ كَذَلِكَ وَ فَاقَتُهُ ؟

وَ كَيْفَ لَا يَكُونُ فَرَحُهَا تَرَحاً وَ هِيَ مَرْصَدَةٌ لِكُلِّ مَنْ أَصَابَ مِنْهَا قُرَّةَ عَيْنٍ[2] ، أَنْ يَرَى مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ بِعَيْنِهِ أَضْعَافَهُ مِنَ الْحُزْنِ. إِنْ رَأَى سُرُوراً فِي وَلَدِهِ فَمَا يَنْتَظِرُ مِنَ الْأَحْزَانِ فِي مَوْتِهِ وَ سُقْمِهِ، وَ جَائِحَةٌ [3] إِنْ أَصَابَتْهُ أَعْظَمُ مِنْ سُرُورِهِ بِهِ، وَ إِنْ رَأَى السُّرُورَ فِي مَالٍ فَمَا يَتَخَوَّفُ مِنَ التَّلَفِ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ أَعْظَمُ مِنْ سُرُورِهِ بِالْمَالِ.

فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَأَحَقُّ النَّاسِ بِأَنْ لَا يَتَلَبَّسَ [4] بِشَيْءٍ مِنْهَا لَمَنْ عَرَفَ هَذَا مِنْهَا. وَ كَيْفَ لَا يَكُونُ صِحَّتُهَا سُقْماً وَ إِنَّمَا صِحَّتُهَا مِنْ أَخْلَاطِهَا، وَ أَصَحُّ أَخْلَاطِهَا وَ أَقْرَبُهَا مِنَ الْحَيَاةِ الدَّمُ، وَ أَظْهَرُ مَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ دَماً أَخْلَقُ مَا يَكُونُ صَاحِبُهُ بِمَوْتِ الْفَجْأَةِ وَ الذُّبْحَةِ وَ الطَّاعُونِ[5] وَ الْآكِلَةِ [6] وَ الْبِرْسَامِ[7] !

---

[1] المربط- بفتح الباء و كسرها- موضع ربط الدوابّ.

[2] في نسخة المجلسي أعين.

[3] جائحة = البليّة.

[4] تلبّس بالأمر = اختلط به.

[5] الذبحة- بضم الذال و فتح الباء، و العامّة تسكن الباء-: ورم حارّ في العضلات من جانب الحلقوم التي بها يكون البلع. و قال العلامة: و قد يطلق الذبحة على الاختناق. والشيخ لا يفرّق بينهما وقيل هي ورم اللوزتين (بحر الجواهر).

[6] الآكلة = داء في العضو يأكل بعضه بعضًا، أو ما نسمّيه اليوم السرطان.

[7] البرسام = التهاب في الحجاب الذي بين الكبد والقلب.

وَ كَيْفَ لَا تكُون قُوَّتُهَا ضَعْفاً وَ إِنَّمَا تَجْمَعُ الْقُوَى فِيهَا مَا يَضُرُّهُ وَ يُوبِقُهُ، وَ كَيْفَ لَا يَكُونُ عِزُّهَا ذُلًّا وَ لَمْ يُرَ فِيهَا عِزٌّ قَطُّ إِلَّا أَوْرَثَ أَهْلَهُ ذُلًّا طَوِيلًا، غَيْرَ أَنَّ أَيَّامَ الْعِزِّ قَصِيرَةٌ وَ أَيَّامَ الذُّلِّ طَوِيلَةٌ.

فَأَحَقُّ النَّاسِ بِذَمِّ الدُّنْيَا مَنْ بُسِطَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَصَابَ حَاجَتَهُ مِنْهَا، فَهُوَ يَتَوَقَّعُ كُلَّ يَوْمٍ وَ لَيْلَةٍ وَ سَاعَةٍ وَ طَرْفَةِ عَيْنٍ أَنْ يُعْدَى عَلَى مَالِهِ فَيَحْتَاجَ، وَ عَلَى جَمِيمِهِ فَيُخْتَطَفَ، وَ عَلَى جَمْعِهِ فَيُنْهَبَ، وَ أَنْ يُؤْتَى بُنْيَانُهُ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَيُهْدَمَ، وَ أَنْ يَدِبَّ الْمَوْتُ إِلَى حَشْدِهِ [1] فَيَسْتَأْصِلَ، وَ يُفْجَعَ بِكُلِّ مَا هُوَ بِهِ ضَنِينٌ. (أو تدبّ إلى جسده دبيبًا من حيث لا يدري فتسقمه أو ترمنه وتقذره وتخبله أو تصمد لمهجة نفسه فتستأصله وتفجعه بجميع ما هو ضنين به)[2] .

فَأَذُمُّ إِلَيْكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الدُّنْيَا الْآخِذَةَ مَا تُعْطِي، وَ الْمُوَرِّثَةَ بَعْدَ ذَلِكَ التَّبِعَةَ [3] ، السَّلَّابَةَ [4] لِمَنْ تَكْسُو[5] ، وَ الْمُوَرِّثَةَ بَعْدَ ذَلِكَ الْعُرَى [6] الْمُوَاضِعَةَ [1] لِمَنْ تَرْفَعُ[2] ، وَ

---

[1] في نسخة المجلسي إلى جسده.

[2] بلوهر وبوذاسف صفحة ١٣.

[3] على سبيل المثال، العسل تعرض حلاوتها على الذباب، فتعطي الذباب ثم تأخذ، وتورث الذباب الهلاك. كذلك الدنيا تعطيك المال (أو أيّ شيء آخر من متاعها) ثم تأخذها منك، ولا يقف الأمر عند هذا الحدّ، لأنّ عشقك للمال (أو أيّ شيء آخر من متاع الدنيا) قد أفسد روحك، وفي هذا الفساد عذاب وأيّما عذاب. وقد دعانا الله إلى تطهير هذا الروح، قدر المستطاع، حتى لا نبتلى بعذاب الخلود.

[4] في نسخة المجلسي السالبة.

[5] تكسوك الدنيا بملذّاتها ثم تسلبك إيّاها، ولا تكتفي بذلك، بل إن حبّك للذّاتها يفسد روحك فتهلك.

[6] العروة ج عرى = ما يوثق به . ما يعوّل عليه.

الْمُوَرِّثَةَ بَعْدَ ذَلِكَ الْجَزَعَ [٣] ، التَّارِكَةَ لِمَنْ يَعْشَقُهَا، وَ الْمُوَرِّثَةَ بَعْدَ ذَلِكَ الشِّقْوَةَ الْمُغْوِيَةَ [٤] لِمَنْ أَطَاعَهَا وَ اغْتَرَّ بِهَا، الْغَدَّارَةَ بِمَنِ ائْتَمَنَهَا وَ رَكَنَ إِلَيْهَا [٥] .

هِيَ الْمَرْكَبُ الْقَمُوص[٦] ، وَ الصَّاحِبُ الْخَئُونُ، وَ الطَّرِيقُ الزَّلَقُ، وَ الْمَهْبَطُ الْمُهْوِي. هِيَ الْمَكْرُمَةُ الَّتِي لَا تُكْرِمُ أَحَداً إِلَّا أَهَانَتْهُ [٧] ، الْمَحْبُوبَةُ الَّتِي لَا تُحِبُّ أَحَداً[٨] ،

---

[١] المبطلة.

[٢] وإذا رفعتك الدنيا فاستكنت وأخلدت إليها، فإن هذا التعويل على هذه الرفعة الزائفة، يفسد روحك، ويورثك الذلّ والهوان والضّعة والاستكانة في الحياة الآخرة.

[٣] رأيت كثيرين من الناس حين الموت يصيبهم الجزع لترك هذه الدنيا، لأنهم عوّلوا عليها، وهذا غيض من فيض، أو بتعبير آخر هو رأس الجليد، وما يعقبه وما يخفى أدهى وأمرّ.

[٤] أليس شقاء الروح في عالم البرزخ من ميراث حبّ الدنيا وزخرفها وزينتها، وإطاعة أهواء النفس، من حرص وشهوة وجهل وعصبيّات وغضب وحسد ورياء وحبّ الدنيا وغيرها، والاغترار بها ! ثم أنه ربما عالم الدنيا تحوّل له إلى عالم البرزخ ! فربما في عالم الدنيا، قبل البرزخ، تأخذ الدنيا منه ما أعطته، وتفضحه وتسلب الستر عنه بعد ما كسته، وتضعه بعد أن رفعته، وتذلّه بعد أن أكرمته، وتغدر به بعد أن وفّى لها، وتكذبه بعد أن صدقها، وتخلفه بعد أن أنجز لها، لكنه يبقى مع التبعات والجزع والشقوة المغوية، لا يتعلّم شيئًا، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من شبّ على شيء شاب عليه).

[٥] وكيف لا تغدر وقد رأيت بنفسك ناسًا كثيرين ركنوا إلى الدنيا بجمع المال والمتاع، ثم سلبتهم الدنيا كل ذلك، وسلّمتهم إلى القبر بقطعة من القماش لستر الجيفة !

[٦] القموص = الدابّة التي تقمص بصاحبها أي تثب وتنفر,

[٧] فإذا أكرمت أحدًا بكثرة الأموال أهانته أخيرًا بحفرة ضيّقة، حيث يقيم فيها إقامته الدائمة لملايين بل مليارات السنين.

[٨] الدنيا محبوبة الجهلة وهي لا تحبّ أحدًا.

الْمَلْزُومَةُ الَّتِي لَا تَلْزَمُ أَحَداً، يُوَفَّى لَهَا وَ تَغْدِرُ، وَ يُصْدَقُ لَهَا وَ تَكْذِبُ، وَ يُنْجَزُ لَهَا وَ تُخْلِفُ. هِيَ الْمُعْوَجَّةُ لِمَنِ اسْتَقَامَ بِهَا، الْمُتَلَاعِبَةُ بِمَنِ اسْتَمْكَنَتْ [1] مِنْهُ.

بَيْنَا هِيَ تُطْعِمُهُ إِذْ حَوَّلَتْهُ مَأْكُولًا، وَ بَيْنَا هِيَ تَخْدُمُهُ إِذْ جَعَلَتْهُ خَادِماً، وَ بَيْنَا هِيَ تُضْحِكُهُ إِذْ ضَحِكَتْ مِنْهُ [2] ، وَ بَيْنَا هِيَ تَشْمَتُهُ إِذْ شَمِتَتْ مِنْهُ[3] ، وَ بَيْنَا هِيَ تَبْكِيهِ إِذْ بَكَتْ عَلَيْهِ، وَ بَيْنَا هِيَ قَدْ بُسِطَتْ يَدُهُ بِالْعَطِيَّةِ إِذْ بَسَطَتْهَا بِالْمَسْأَلَةِ، وَ بَيْنَا هُوَ فِيهَا عَزِيزٌ إِذْ أَذَلَّتْهُ، وَ بَيْنَا هُوَ فِيهَا مُكْرَمٌ إِذْ أَهَانَتْهُ، وَ بَيْنَا هُوَ فِيهَا مُعَظَّمٌ إِذْ صَارَ مَحْقُوراً، وَ بَيْنَا هُوَ رَفِيعٌ إِذْ وَضَعَتْهُ، وَ بَيْنَا هِيَ لَهُ مُطِيعَةٌ إِذْ عَصَتْهُ، وَ بَيْنَا هُوَ فِيهَا مَسْرُورٌ إِذْ أَحْزَنَتْهُ، وَ بَيْنَا هُوَ فِيهَا شَبْعَانُ إِذْ أَجَاعَتْهُ، وَ بَيْنَا هُوَ فِيهَا حَيٌّ إِذْ أَمَاتَتْهُ !

فَأُفٍّ لَهَا مِنْ دَارٍ إِذْ كَانَ هَذَا فِعَالَهَا وَ هَذِهِ صِفَتَهَا ! تَضَعُ التَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ غُدْوَةً وَ تُعَفِّرُ خَدَّهُ بِالتُّرَابِ عَشِيَّةً، وَ تُحَلِّي الْأَيْدِيَ بِأَسْوِرَةِ الذَّهَبِ عَشِيَّةً ، وَ تَجْعَلُهَا فِي الْأَغْلَالِ غُدْوَةً، وَ تُقْعِدُ الرَّجُلَ عَلَى السَّرِيرِ غُدْوَةً، وَ تَرْمِي بِهِ فِي السِّجْنِ عَشِيَّةً، تَفْرُشُ لَهُ الدِّيبَاجَ عَشِيَّةً، وَ تَفْرُشُ لَهُ التُّرَابَ غُدْوَةً، وَ تَجْمَعُ لَهُ الْمَلَاهِيَ وَ الْمَعَازِفَ غُدْوَةً، وَ تَجْمَعُ عَلَيْهِ النَّوَائِحَ وَ النَّوَادِبَ عَشِيَّةً، تُحَبِّبُ إِلَى أَهْلِهِ قُرْبَهُ عَشِيَّةً، وَ تُحَبِّبُ إِلَيْهِمْ بُعْدَهُ غُدْوَةً[4] ، تُطَيِّبُ رِيحَهُ غُدْوَةً، وَ تُنَتِّنُ رِيحَهُ عَشِيَّةً !

---

[1] استمكن منه = استمسك به = كانت قيادته بيده.

[2] في نسخة المجلسي هذه العبارة: وبينا هي تشتمه إذ شتمت منه.

[3] أما ترى كيف تشمت الدنيا منه، وتسلّط الحشرات والديدان عليه وتسمنها منه ! أليس هذا رادعًا له عن عمل السيئات ؟.

[4] وكيف أن الأهل والأقارب كانوا يحبّون قربه جسديًّا، وإذا بهم يحبّون بعده الآن، بعد أن أصبح جيفة !

فَهُوَ مُتَوَقِّعٌ لِسَطَوَاتِهَا، غَيْرُ نَاجٍ مِنْ فِتْنَتِهَا وَ بَلَائِهَا، تَمَتَّعُ نَفْسُهُ مِنْ أَحَادِيثِهَا، وَ عَيْنُهُ مِنْ أَعَاجِيبِهَا، وَ يَدُهُ مَمْلُوءَةٌ مِنْ جَمْعِهَا، ثُمَّ تُصْبِحُ الْكَفُّ صِفْراً، وَ الْعَيْنُ هَامِدَةً، ذَهَبَ مَا ذَهَبَ، وَ هَوَى مَا هَوَى، وَ بَادَ مَا بَادَ، وَ هَلَكَ مَا هَلَكَ !

تَجِدُ فِي كُلِّ مِنْ كُلِّ خَلَفاً، وَ تَرْضَى بِكُلِّ مِنْ كُلِّ بَدَلًا، تُسْكِنُ دَارَ كُلِّ قَرْنٍ [1] قَرْناً، وَ تُطْعِمُ سُؤْرَ[2] كُلِّ قَوْمٍ قَوْماً، تُقْعِدُ الْأَرَاذِلَ مَكَانَ الْأَفَاضِلِ، وَ الْعَجَزَةَ [3] مَكَانَ الْحَزَمَةِ[4] ، تَنْقُلُ أَقْوَاماً مِنَ الْجَدْبِ [5] إِلَى الْخِصْبِ، وَ مِنَ الرِّجْلَةِ [6] إِلَى الْمَرْكَبِ، وَ مِنَ الْبُؤْسِ إِلَى النِّعْمَةِ، وَ مِنَ الشِّدَّةِ إِلَى الرَّخَاءِ، وَ مِنَ الشَّقَاءِ إِلَى الْخَفْضِ وَ الدَّعَةِ [7] ، حَتَّى إِذَا غَمَسَتْهُمْ فِي ذَلِكَ انْقَلَبَتْ بِهِمْ فَسَلَبَتْهُمُ الْخِصْبَ وَ نَزَعَتْ مِنْهُمُ الْقُوَّةَ، فَعَادُوا إِلَى أَبْأَسِ الْبُؤْسِ وَ أَفْقَرِ الْفَقْرِ وَ أَجْدَبِ الْجَدْبِ[8] .

---

[1] القرن = الجيل = الوقت من الزمان.

[2] السؤرة = المجد والأثر والارتفاع.

[3] في بعض النسخ (الفجرة مكان البررة).

[4] الحزمة جمع الحازم.

[5] الجدب عكس الخصب. جدب المكان = انقطع عنه المطر فيبست أرضه.

[6] الرجلة = القوة على المشي. والراجل = القدير على كثرة المشي.

[7] الخفض والدعة = الراحة وخفض العيش = السكينة.

[8] من كتابي بوذا ونور الملكوت

يا نفس ! إن الله هو المبدأ وهو الأصل وأنت الفرع، وإن كل أسباب حياتك في هذا الأصل وفي هذا المبدأ. فلا تنسي الأصل والمبدأ، وجاهدي بحنينك وأوبتك إلى المبدأ بكل وجودك، فإن في ذلك حياة لك، ونعم الحياة ! فلا تبتعدي عن المبدأ، والتصقي به التصاق الفصيل بأمّه، فإن الابتعاد عنه سبحانه وتعالى موت لك، وفساد وتعفّن، كما للثمرة موت وفساد، إذا هي قطعت وفصلت عن الشجرة.

يا نفس ! أهمّ عرى التواصل مع مبدئك هو ذكر المبدأ باللسان والقلب والحال والمزاج، فإن كان ذكرك باللسان فهو الذكر الجليّ، وإن كان بالقلب فهو الذكر الخفيّ، وإن كان بالحال فهو الذكر الأخفى، وإن كان بالمزاج فهو الذكر المتجلّي.

يا نفس ! فأنت حينئذ تجلّي من المبدأ بعينه يمشي على الأرض !

حقوق النشر محفوظة للمؤلف
www.taqimusawi.com